إِرْشَادُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَإِفْحَامُ الْمُلْحِدِيْنَ

بِأَدِلَّةِ عقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ

النَّقْليَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ

تَأْلِيْفُ

الشَّيْخِ مَحْمُوْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ

الأَشْعَرِيِّ الشَّافِعِيِّ السَّوْمَالِيِّ

الشَّهِيْرِ بـ«الشَّيْخِ مَحْمُوْد طيرى».

الطبعةُ الثَّالثةُ سنةَ ١٤٣٨ هـ

مُقَدَّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين مقيلِ العثراتِ ومجازي الحسناتِ بالحسنىٰ وزيادةٍ الحكيمِ الّذي يضعُ كلَّ شيءٍ بمحلِّهِ المناسبِ له الْمُنَزَّهِ عن الخطأ والسَّهوِ وكلِّ نقصٍ. وأشهدُ أن لَّا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له ولا ندَّ له ولا نظيرَ له، وأشهدُ أنَّ سيّدَنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ﷺ الهادي إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ والدَّاعي إلىٰ دارِ السَّلامِ جنّةٍ عاليةٍ قطوفُها دانيةٌ من أجابه دخل فيها واستمتع فيها آخِرَ ما عليه.

وبعدُ فهٰذه طبعةٌ جديدةٌ راجعها المؤلِّفُ وأَلحقَ بها كلماتٍ يسيرةً لا يُستغنَىٰ عنها مفقودةً من الطّبعةِ الأولىٰ. وأَرْجُوْ مِن الأخِ المسْلِمِ الَّذي اطّلعَ في هٰذا الكتابِ زَلَّةَ قلمٍ أو خللاً في المعنىٰ أن يُصلحَ ذٰلك بعدَ تأنٍّ وتأمُّلٍ وتيقُّنٍ بالخطأِ أو القصورِ مع العذرِ والإنصافِ لمن في زمنِ الجهلِ وعَدَمِ النَّشاطِ وتشويشِ البالِ والحالِ بالفتنِ ومع ذٰلك تحمَّلَ

كُلفةَ جمعِ شتّاتِ المسائلِ وابتكارِ التّعبيرِ بألفاظٍ صحيحةٍ سهلةِ الفهمِ يَفهمُها المبتدأُ القاصرُ مثلي ويستفيدُ منها العالي.

فَيَا أَيُّها المسلِمُ النّاظرُ في هٰذا الكتابِ إن رَأَيْتَ غَلَطاً فَتَذَكَّرْ أنَّ الخطأَ والنِّسيانَ مَعْفُوَّانِ للمؤمِنِ لأنَّهما يَلْزَمَانِ الإنسانَ كلُزُومِ اللَّوْنِ فيه ولكنَّ ذٰلكَ يَتفاوت فمنه الكثيرُ ومنه القليلُ ومنه الفاحشُ ومنه السَّهلُ وغيرُ ذٰلكَ والمعصومُ مَن عصمه اللهُ تعالىٰ.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ» رواه الحاكِمُ وابنُ حِبَّانَ وابْنُ ماجه والطَّبرانِيُّ والدَّارَقُطْنِيُّ والطَّحاوِيُّ وَصَحَّحَهُ الحاكِمُ والذَّهَبِيُّ.

والَّذي يَنْبَغِي لكلِّ مسلِمٍ أن يَرَىٰ عُيُوبَ نَفْسِهِ ويُغْمِضَ عن عيوبِ أهلِ الخيرِ ويَنْصَحَ نَفْسَهُ وكلَّ مسلمٍ ويعمَلَ بما قاله الإمامُ القاسمُ بنُ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عثمانَ أبو محمّدٍ الحريريُّ البصريُّ الأديبُ الكبيرُ في «مُلحةِ الإعرابِ» واعْمَلْ به:

فَإِنْ تجِدْ عَيْباً فَسُدِّ الخَلَلا ... فَجَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فِيْهِ وَعَلا

وبما قاله الإمامُ الحكيمُ العالمُ العلاَّمةُ الفهَّامةُ المدقِّقُ الشّيخُ عبدُ الرّحمٰنِ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عامرٍ الأخضريُّ في «سُلَّمِ المرونقِ»:

وَأَصْلِحِ الفَسَادَ بِالتَّأَمُّلِ ... وَإِنْ بَدِيْهَةً فَلا تُبَدِّلِ

إِذْقِيْلَ كَم مُزَيِّفٍ صَحِيْحاً ... لأَجْلِ كَوْنِ فَهْمِهِ سَقِيْمًا

وما قاله الحكيمُ الآخرُ:

وَكَم مِّنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيْحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيْمِ

وأَرْجُوْ مِن كلِّ مسلمٍ استفاد من هٰذا الكتابِ حرفًا أو جملةً أو مسئلةً أو أزيدَ من ذٰلك أن لَّا يَبْخَلَ بالدُّعاءِ بالهدايةِ والعفوِ والعافيةِ لي ولمن له حقٌّ عليَّ ولمن انتمىٰ إليَّ نسلاً أو ديناً مِن المسلمينَ إذ الدُّعاءُ للأخِ المسلمِ بظهرِ الغيبِ أنفعُ للدَّاعي والمدعوِّ له وأقربُ للإجابةِ لأنَّ الْمَلَكَ الْمُوكَّلَ به يُؤَمِّنُ بدعائِهِ ويدعو للدَّاعِي مثلَ ما دعا لأخيه المؤمنِ، ودعاءُ الملَكِ مستجابةٌ لا محالةَ بإذنِ اللهِ تعالىٰ. عَنْ صَفْوَانَ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ

فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الحَجَّ العَامَ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَاسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ». رواه مسلمٌ وأبو داوودَ وابنُ ماجَهْ وابنُ حِبَّانَ وابنُ أبي شيبةَ وأحمدُ والبزَّارُ والطَّبرانِيُّ والبغوِيُّ والبيهقيُّ ولفظُهُ لمسلِمٍ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ثمَّ اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّمْ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك وأتوسَّلُ إليك بحقِّ جميعِ أسمائِكَ الحسنىٰ ما علمنا وما لم نعلم وبحقِّ جميعِ كتبِكَ المنَزّلةِ وبحقِّ أحبِّ الخلقِ إليكَ سيِّدنا محمَّدٍ وبحقِّ جميعِ الأنبياءِ الّذين قبله وبحقِّ جميعِ الملائكةِ المكرَمِينَ عندَكَ وبحقِّ سائرِ من له عندَكَ قدرٌ وجاهٌ وبحقِّ أعمالِ عبادِكَ المقبولين أن تغفرَ لي ولأصولِيَ المؤمنين وأساتذي وأولادي وأهلي وأحبابي وأن تُقيلَ عثراتنا وأن تستُرَ عوراتِنا وأن تجعلَ هٰذا العملَ خالصًا لك وأن تنفعَ به المسلمينَ وأن تُعيذَه من أيدِ الملحدينَ المفسدينَ والحاسدينَ وأن

تُعطينا القبولَ والتّوفيقَ والهدايةَ لأقومِ طريقٍ والعفوَ والعافيةَ وتَكْثِيرَ أحبابِنا وتَقْلِيلَ أذِيَّةِ أعدائِنا وتَأْلِيْفَ المسلمينَ بِالحَقِّ آمين.

الْمُقَدَّمَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الْمُتَعَالِيْ عَنِ الأَنْدَادِ وَالأَرْكَانِ وَالآلاتِ الَّذِيْ لا يَحْوِيْهِ مَكَانٌ وَلا يَجْرِيْ عَلَيْهِ زَمَانٌ خَلَقَ العَرْشَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ لا مَكَاناً لِذَاتِهِ قَدْ كَانَ وَلا مَكَانَ وَهْوَ الآنَ كَمَا كَانَ بِهِ أَزَلاً، الْمُنَزَّهِ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوْقِيْنَ كَالجِسْمِيَّةِ وَالتَّحَيُّزِ فِي الجِهَةِ وَالْمَكَانِ العُلْوِيَّيْنِ أَوِ السُّفْلِيَّيْنِ، الْمُنْفَرِدِ بِتَدْبِيْرِ العَالَمِ إِيْجَاداً وَإِعْدَاماً وَكُلُّ مُدَبَّرٍ تَحْتَ تَدْبِيْرِهِ مُذَلَّلٌ، الْمُسْتَحِقِّ لِجَمِيْعِ عِبَادَةِ خَلْقِهِ تَمَاماً وَكُلُّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَهُ سبحانَهُ وتَعَالَىٰ مَهِيْنٌ. أَحْمَدُهُ عَلَىٰ جَمِيْعِ نِعَمِهِ حَمْداً يُوَافِيْ نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيْدَهُ. وَأَشْهَدُ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ إِلَهاً وَاحِداً وَرَباًّ شَاهِداً

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُوْنَ شَهَادَةً تَكُوْنُ ذُخْرًا لَنَا يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوْهُ أَهْلِ الحَقِّ الَّذِيْنَ مِنْهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَتَسْوَدُّ وُجُوْهُ أَهْلِ البَاطِلِ الَّذِيْنَ مِنْهُمْ أَهْلُ البِدَعِ وَالضَّلالَةِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا وَحَبِيْبَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ﷺ أَرْسَلَهُ اللهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ لِيُظْهِرَ اللهُ الدِّيْنَ الحَقَّ عَلَىٰ مَا سِوَاهُ، وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيْداً بِذَٰلِكَ. وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيْمِ عَلَىٰ الْمُنْقِذِ مِنَ الضَّلالِ الْمُصْطَفَىٰ مِنْ أَكْرَمِ الأَعْرَاقِ وَأَحْسَنِهَا الْمَبْعُوْثِ بِأَحْسَنِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ أَسْعَدِ مَخْلُوْقَاتِ اللهِ وَأَفْضَلِ مَا كَانَ وَمَا يَكُوْنُ وَخَاتِمِ الأَنْبِيَآءِ وَإِمَامِ الْمُتَّقِيْنَ وَقَآئِدِ الغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الَّذِيْ جَاءَ بِمَحْوِ الشِّرْكِ وَالالحَادِ وَأَمَرَنَا بِتَنْزِيْهِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ صِفَاتِ العِبَادِ، الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الإِخْلاصِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيْمِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝١ اللهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُؤاً أَحَدٌ ۝٤». وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الشُّوْرَى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ

(١١)». البَشِيْرِ النَّذِيْرِ الْمُفَرِّقِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ وَالهُدَىٰ وَالضَّلالِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّاهِرِيْنَ مِنَ الشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ وَالالحَادِ وَعَلَىٰ أَصْحَابِهِ الكِرَامِ البَرَرَةِ الَّذِيْنَ هُمْ مَنَارُ الهُدَىٰ وَالعِرْفَانِ والّذِيْنَ اخْتَارَهُمُ اللّٰهُ تعالىٰ لِصُحْبَةِ حَبِيْبِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَىٰ التَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَهُمْ كُلُّ مَنْ تَمَسَّكَ بِعَقِيْدَةِ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

وَبَعْدُ: فَإِنَّ أَجَلَّ العُلُوْمِ قَدْرًا وَأَعْلاهَا مَنْزِلَةً وَأَفْضَلَهَا مَرْتَبَةً وَأَوْجَبَهَا عَلَىٰ العَاقِلِ تَحْصِيْلاً عِلْمُ أُصُوْلِ الدِّيْنِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ. ثُمَّ هَٰذَا كتابٌ مُخْتَصَرٌ مُتَعَلِّقٌ فِيْ دِفَاعِ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَعَقِيْدَتِهِمْ سَمَّيْتُهُ «إِرْشَادَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَإِفْحَامَ الْمُلْحِدِيْنَ بِأَدِلَّةِ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ النَّقْلِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ». أَنْصَحُ بِهِ الْمُسْلِمِيْنَ وَالجِمُ بِهِ الفِرْقَةَ الْمُفْسِدَةَ خَوَارِجَ هَٰذَا الزَّمَانِ الإِرْهَابِيَّةَ عَامَلَهَا اللّٰهُ بَعَدْلِهِ عَاجِلاً وَأُبَيِّنُ فِيْهِ بَرَآةَ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةِ مِمَّا قَذَفَتْهُمْ بِهِ هَٰذِهِ الفِرْقَةُ السَّفِيْهَةُ الْمَارِقَةُ مِنَ الدِّيْنِ كَمَا

وَصَفَهَا سَيِّدُ الْمُرْسَلِيْنَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ البُهْتَانِ. والحَمْدُ للهِ، ثُمَّ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ بِأَنِّيْ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِيْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُؤًا أَحَدٌ أَنْ تُعْطِيَنَا القَبُوْلَ وَالتَّوْفِيْقَ وَالعَفْوَ وَالعَافِيَةَ والإِخْلاصَ فِي العَمَلِ وَالسَّدَادَ فِي الإِعْتِقَادِ وتَعْمِرَ ظَواهِرِنَا وَبَواطِنَا بِنُوْرِ الحَقِّ وَالحِكْمَةِ وتَجْعَلَ لَنَا لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِيْنَ آمِيْن.

بابُ تَامِيْنِ اللهِ لأَهْلِ الحَقِّ فِيْ كُلِّ عَصْرٍ مِنَ الإِجْتِمَاعِ عَلَىٰ الضَّلالِ

فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النِّساءِ: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُ الهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ الْمُؤْمِنِيْنَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيْرًا». وَأَخْبَرَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوْقُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّ

أُمَّتَهُ مَعْصُوْمَةٌ مِنَ الشِّرْكِ وَهْوَ العَامُّ فَعَنِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا». أَيْ فِي الدُّنْيَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَابْنُ حِبَّانَ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَأَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

وَأَخْبَرَنَا ﷺ أَيْضاً أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ شَانُهُ يَحْفَظُ هَـٰذِهِ الأُمَّةَ مِنَ الإِجْتِمَاعِ عَلَىٰ الضَّلالِ، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِيْ أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ ضَلالَةٍ أَبَداً وَيَدُ اللهِ عَلَىٰ الجَمَاعَةِ». رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُوْدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَالدَّارِمِيُّ فِيْ السُّنَنِ وَأَحْمَدُ فِيْ مُسْنَدِهِ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الكَبِيْرِ وَالبَيْهَقِيُّ فِيْ شُعَبِ الإِيْمَانِ وَذَكَرَهُ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ فِيْ فَتْحِ البَارِيْ وَفِي تَلْخِيْصِ الحَبِيْرِ بِرِوَايَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَأَسَانِيْدَ كَثِيْرَةٍ تُوْصِلُ الحَدِيْثَ دَرَجَةَ الحَسَنِ أَوِ الصَّحِيْحِ فَحَسَّنَهُ بَعْضُ العُلَمَاءِ وَصَحَّحَهُ بَعْضُهُمْ وَرَوَاهُ الحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَلَىٰ الصَّحِيْحَيْنِ وَصَحَّحَهُ وَاللَّفْظُ لَهُ.

وَلِهَٰذَا الحِفْظِ سَبَبٌ وَهْوَ حِفْظُ قَادَتِهَا مِنْهُ فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِيْ سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَٰذِهِ الأُمَّةُ قَآئِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُم مَّنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَاتِيَ أَمْرُ اللهِ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

وَعَنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِيْ سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أيضاً قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهُمْ مَّنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَاتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَالدَّارِمِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

فَالَّذِيْ سَبَقَ مِن القُرْآنِ الكريمِ والأَحَادِيْثِ الصِّحاحِ يَدُلُّ دَلالَةً وَاضِحَةً عَلَىٰ عِصْمَةِ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ مِنَ الإِجْتِمَاعِ عَلَىٰ الضَّلالِ الَّذِيْ هُوَ الكُفْرُ أَوِ الْمَعْصِيَةُ جَزْمًا. وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَىٰ عِصْمَتِهَا مِنَ

الإِجْتِمَاعِ عَلَىٰ الخَطَإِ فِيْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ. لأَنَّ الخَطَأَ فِيْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ ضَلالَةٌ فَلا يُمْكِنُ الإِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، فَيَكُوْنُ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ حَقًّا صِرْفًا.

وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَىٰ بَقَاءِ عِصْمَتِهَا إِلَىٰ أَنْ تَاتِيَ الرِّيْحُ الَّتِيْ تَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِيْنَ قُرْبَ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالْمُرَادُ بِالأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أُمَّةُ الإِجَابَةِ وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَىٰ أَنَّ هَٰذِهِ العِصْمَةَ تَبْقَىٰ بِسَبَبِ طَآئِفَةٍ مِنْ الأُمَّةِ فَمَنْ هِيَ؟.

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمَا: هُمْ أَهْلُ الحَدِيْثِ. اهـ.

وَمِنْ هَٰذَا الغَيْرِ: عَلِيُّ بْنُ الْمَدِيْنِيِّ شَيْخِ البُخَارِيِّ.

وَقَالَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي الحَدِيْثِ وَفِيْ كُلِّ فَنٍّ مِنَ الشَّرِيْعَةِ الإِمَامُ مُحْيِي الدِّيْنِ النَّوَوِيُّ فِيْ شَرْحِ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ فِيْ بَابِ قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا

الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ». قَالَ القَاضِيْ عِيَاضٌ: إِنَّمَا أَرَادَ احْمَدُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَمَنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ أَهْلِ الحَدِيْثِ. اهـ.

وَهٰكَذَا قَالَ الإِمَامُ حَافِظُ دِيَارِ الدُّنْيَا ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ فِيْ فَتْحِ البَارِيْ شَرْحِ صَحِيْحِ البُخَارِيِّ فِيْ بَاب مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ اهـ. وقَالَ أَبُو عِيسَىٰ التِّرْمِذِيُّ فِيْ سُنَنِهِ: وَتَفْسِيرُ الجَمَاعَةِ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ هُمْ أَهْلُ الفِقْهِ وَالعِلْمِ وَالحَدِيثِ. اهـ.

وَقَالَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِيْ صَحِيْحِهِ: هُمْ أَهْلُ العِلْمِ اهـ.

وَفَصَّلَهُمُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِيْ شَرْحِ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ فَقَالَ: قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَٰذِهِ الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بَيْن أَنْوَاع الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ شُجْعَانٌ مُقَاتِلُونَ وَمِنْهُمْ فُقَهَاءُ وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ وَمِنْهُمْ زُهَّادٌ وَآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمِنْهُمْ أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخْرَىٰ مِنْ الخَيْرِ، وَلا يَلْزَم أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَار الأَرْض، وَفِي هَٰذَا الحَدِيثِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ، فَإِنَّ هَٰذَا الوَصْفَ مَا زَالَ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ زَمَنِ النَّبِيِّ

ﷺ إِلَىٰ الآنَ، وَلا يَزَالُ حَتَّىٰ يَاتِيَ أَمْرُ اللهِ الْمَذْكُورُ فِي الحَدِيثِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ لِكَوْنِ الإِجْمَاعِ حُجَّةً. اهـ.

وَقَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ أَيْضًا فِيْ تَهْذِيْبِ الأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ: وَأُمَّتُهُ ﷺ مَعْصُوْمَةٌ مِنَ الإِجْتِمَاعِ عَلَىٰ ضَلالَةٍ اهـ.

وقال الإِمَامُ الْمُلَّا عَلِيٌّ القَارِيُّ فِيْ مَرْقَاةِ الْمَفَاتِيْحِ شَرْحِ مِشْكَاةِ الْمَصَابِيْحِ: وَفِيْهِ أي فِيْ هَٰذَا الحَدِيْثِ أَيْضًا دَلِيْلٌ عَلَىٰ أَنَّ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِيْنَ حَقٌّ، وَالْمُرَادُ إِجْمَاعُ العُلَمَاءِ الْمُجْتَهِدِيْنَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَلا عِبْرَةَ بِإِجْمَاعِ العَوَّامِ، لأَنَّهُ لا يَكُوْنُ عَنْ عِلْمٍ اهـ.

وَبِالجُمْلَةِ فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اخْتَارَ مِنْ صَفْوَةِ عِبَادِهِ عِصَابَةَ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَخَصَّهُمْ مِنْ سَآئِرِ الفِرَقِ بِمَزَايَا اللُّطْفِ وَالْمِنَنِ وَأَفَاضَ عَلَيْهِم مِّن نُّوْرِ هِدَايَتِهِ مَا كَشَفَ بِهِ عَنْ حَقَآئِقِ الدِّيْنِ وَأَنْطَقَ السِنَتَهُمْ بِحُجَّتِهِ الَّتِيْ قَمَعَ بِهَا ضَلالَ الْمُلْحِدِيْنَ وَصَفَا سَرَآئِرَهُمْ مِّنْ وَسَاوِسِ الشَّيَاطِيْنِ وَطَهَّرَ ضَمَآئِرَهُمْ عَن نَّزَغَاتِ الزَّآئِغِيْنَ وَعَمَّرَ

أَفْئِدَتَهُمْ بِأَنْوَارِ اليَقِيْنِ حَتَّىٰ اهْتَدَوا بِهَا إِلَىٰ أَسْرَارِ مَا أَنْزَلَهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ وحَبِيْبِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ سَيِّدِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ وَأَكْرَمِ السَّابِقِيْنَ وَاللاَّحِقِيْنَ عِنْدَ رَبِّهِ. فَاطَّلَعُوا عَلَىٰ طَرِيْقِ الجَمْعِ بَيْنَ مُقْتَضِيَاتِ الشَّرَآئِعِ وَمُوْجِبَاتِ العُقُوْلِ، وَتَحَقَّقُوا أَن لَّا مُعَانَدَةَ بَيْنَ الشَّرْعِ الْمَنْقُوْلِ وَالحَقِّ الْمَعْقُوْلِ وَعَرَفُوا أَنَّ مَنْ ظَنَّ وَجُوْبَ اتِّبَاعِ ظَوَاهِرِ الْمُتَشَابِهَاتِ مِنَ الحَشَوِيَّةِ وَمُجَسِّمَةِ الحَنَابِلَةِ أَوَّلاً وَخَوَارِجِ هَٰذَا الزَّمَانِ الإِرْهَابِيَّةِ أَخِيْراً مَا أَتَوْا بِذَٰلِكَ الظَّنِّ إِلَّا مِنْ ضَعْفِ العُقُوْلِ وَعَدَمِ البَصَآئِرِ وَاحْتِيَاطَةِ الأَخِيْرَةِ عَلَىٰ الرَّوَاتِبِ عَلَىٰ إِفْسَادِ الإِسْلامِ بِاسْمِ الإِسْلامِ، وَأَنَّ مَنْ تَغَلْغَلَ مِنَ الفَلاسِفَةِ وَغُلاَّتِ الْمُعْتَزِلَةِ فِيْ تَصَرُّفِ العَقْلِ حَتَّىٰ صَادَمُوا قَوَاطِعَ الشَّرْعِ مَا أَتَوا بِذَٰلِكَ التَّغَلْغُلِ إِلَّا مِنْ خُبْثِ الضَّمَآئِرِ.

فَمَالَ أُولٰئِكَ الحَشَوِيَّةُ وَمُجَسِّمَةُ الحَنَابِلَةِ وَخَوَارِجُ هَٰذَا الزَّمَانِ الْمُجَسِّمَةُ الْمُشَبِّهَةُ إِلَىٰ التَّفْرِيْطِ فِيْ تَنْزِيْهِ اللهِ حَتَّىٰ شَبَّهُوْهُ بِخَلْقِهِ، وَمَالَ هَٰؤُلَآءِ الغُلاَّةُ إِلَىٰ الإِفْرَاطِ فِي التَّنْزِيْهِ حَتَّىٰ نَفَوا مَا أَثْبَتَهُ لِذَاتِهِ أَوْ أَثْبَتَهُ له رَسُوْلُهُ

ﷺ فِرَاراً مِنَ التَّشْبِيْهِ، وَكِلاهُمَا بَعِيْدٌ عَنِ الحَقِّ وَالإِحْتِيَاطِ، وَكَيْفَ يَهْتَدِيْ لِلْحَقِّ مَنِ اقْتَنَعَ بِوُجُوْبِ الجُمُوْدِ عَلَىٰ اتِّبَاعِ ظَوَاهِرِ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَعَطَّلَ الْمُحْكَمَاتِ وَصَحِيْحَ الْمَعْقُوْلِ؟ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لا مُسْتَنِدَ لِلشَّرْعِ إِلَّا قَوْلُ سَيِّدِ البَشَرِ ﷺ وَبُرْهَانُ العَقْلِ الَّذِيْ عُرِفَ بِهِ صِدْقُهُ ﷺ فِيْمَا أَخْبَرَ بِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَهْتَدِيْ لِلْحَقِّ مَنِ اقْتَفَىٰ مَحْضَ العَقْلِ وَاقْتَصَرَ بِهِ وَمَا اسْتَضَآءَ بِنُوْرِ الشَّرْعِ وَلا اسْتَبْصَرَ بِهِ؟ فَمَنْ لَمْ يَجْمَعْ شَتَاتَ الأُمُوْرِ بِتَالِيْفِ الشَّرْعِ وَالعَقْلِ فَقَدْ خَابَ قَطْعاً وَتَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الضَّلالِ، فَإِنَّ مَثَلَ الشَّرْعِ مَثَلُ الشَّمْسِ الْمُسْتَنِيْرَةِ وَإِنَّ مَثَلَ العَقْلِ السَّلِيْمِ مِنَ الآفَاتِ مَثَلُ البَصَرِ الصَّحِيْحِ.

فَالْمُكْتَفِيْ بِنُوْرِ الشَّرْعِ عَنِ العَقْلِ لا يَسْتَفِيْدُ مِنْهُ شَيْئاً كَمَا لا يَسْتَفِيْدُ شَيْئاً الْمُتَعَرِّضُ لِنُوْرِ الشَّمْسِ مُغْمِضاً لأَجْفَانِهِ لأَنَّهُ حِيْنَئِذٍ لا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَعْمَىٰ، وَالْمُكْتَفِيْ بِالعَقْلِ الصِّرْفِ عَنْ نُوْرِ الشَّرْعِ لا يَسْتَفِيْدُ

مِنْهُ شَيْئاً كَمَا لا يَسْتَفِيْدُ شَيْئاً الْمُسْتَبْصِرُ فِيْ غَوْرِ بِئْرٍ عَمِيْقٍ مُطْبَقٍ فِيْ لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ لأَنَّهُ حِيْنَئِذٍ لا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَعْمَىٰ.

فَالعَقْلُ مَعَ الشَّرْعِ نُوْرٌ عَلَىٰ نُوْرٍ، وَالْمُسْتَمْسِكُ بِأَحَدِهِمَا وَحْدَهُ عَلَىٰ الخُصُوْصِ هَالِكٌ لا مَحَالَةَ كَمُتَدَلٍّ بِحَبْلِ غُرُوْرٍ فِيْ بِئْرٍ لا قَعْرَ لَهُ وَلا أَنِيْسَ لَهُ فِيْهَا وَلا مُنْجِيَ لَهُ مِنْهَا.

بَلِ الوَاجِبُ فِيْ قَوَاعِدِ الإِعْتِقَادِ مَلازَمَةُ الإِقْتِصَادِ وَالإِعْتِمَادُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ، فَكِلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُوْرِ ذَمِيْمٌ. نَسْأَلُ اللهَ السَّتْرَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

بابُ الحَثِّ علىٰ اتِّباعِ أَهْلِ الحقِّ أهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمُتَدَيِّنُ الْمُشْتَاقُ إِلَىٰ الاطِّلاعِ عَلَىٰ قَوَاعِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الْمُشْتَهِيْ تَحْقِيْقَهَا بِقَوَاطِعِ الأَدِلَّةِ أَنَّهُ لَمْ يَنْجَحِ الجَمْعَ بَيْنَ الشَّرْعِ الْمَنْقُوْلِ وَالحَقِّ الْمَعْقُوْلِ سِوَىٰ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي الإِعْتِقَادِ وَمَنْ أَخَذُوا عَنْهُمْ الحَقَّ مِنْ سَلَفِهِمِ الصَّالِحِ وَهَؤُلاءِ هُمْ رُؤَسَآءُ الدِّيْنِ الخُبَرَآءُ الْمُنِيْبُوْنَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ.

وَقَدْ أَرْشَدَنَا اللهُ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ وَرَغَّبَنَا أَن نَّرُدَّ مَّا أَشْكَلَ عَنَّا مِنْ أَمْرِ الدِّيْنِ إِلَىٰ الرَّسُوْلِ الكَرِيْمِ ﷺ وَإِلَىٰ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَقَالَ تَعَالَىٰ أَمْرُهُ: «وَلَوْ رَدُّوْهُ إِلَىٰ الرَّسُوْلِ وَإِلَىٰ أُوْلِىٰ الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِيْنَ يَسْتَنْبِطُوْنَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيْلاً». وَقَالَ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ وَفِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُوْنَ». وَأَمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أَيْضاً بِاتِّبَاعِهِمْ فَقَالَ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ لُقْمَانَ: «وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ».

فَإِنْ أَردتَّ النَّجَاةَ فِي الدَّارَيْنِ وَالسَّعَادَةَ فِيْهِمَا وَاتِّبَاعَ أَهْلِ الحَقِّ بكَمَالِ الإِيْمَانِ فَعَلَيْكَ بِسُلُوْكِ سَبِيْلِ هَؤُلآءِ الأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِيْنَ وَالعُلَمَآءِ العَامِلِيْنَ وَالفُضَلآءِ الْمُحَقِّقِيْنَ الّذِيْنَ هُمْ بُدُوْرُ الظَّلامِ لِمَنِ اسْتَبْصَرَ بِهِمْ فِي دِيْنِ اللهِ وَنُجُوْمُ الإِهْتِدَاءِ لِمَنِ اهْتَدَىٰ بِهِم مَّمَرَّ الدُّهُوْرِ وَجِبَالُ الحَقِّ الرَّاسِيَاتُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِمْ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ لا يُزَعْزِعُهُمْ عُوَّآءُ كِلابِ الضَّلالِ وَلا يَصْرِفُهُمْ عَنْ طَرِيْقِ الحَقِّ جَوْرُ الدَّهْرِ وَلا يُرِيْدُونَ بِالعِلْمِ مُمَارَاةً وَلا مُبَاهَاةً وَلا مُجَادَلَةً وَلا مُضَاهَاةً بَلْ قَصَّرُوا لَيْلَهُمْ عَلَىٰ العِبَادَةِ وَنَهَارَهُمْ عَلَىٰ الإِفَادَةِ يَقُوْلُوْنَ الحَقَّ وَيَعْمَلُوْنَ بِهِ وَيَفْعَلُوْنَ الخَيْرَ وَيُرْشِدُوْنَ إِلَيْهِ، لا يَخَافُوْنَ فِي نُصْرَةِ دِيْنِ اللهِ وَنَشْرِهِ لَوْمَةَ لآئِمٍ وَلا يَصُدُّهُمْ عَنِ الحَقِّ رَهْبَةُ ظَالِمٍ، وَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِيْنَ حَفِظَهُمُ اللهُ وَحَفِظَ بِهِمْ دِيْنَ الإِسْلامِ مِنَ التَّبْدِيْلِ وَالتَّحْرِيْفِ عِلْمًا وَعَقِيْدَةً وَعَمَلاً فَاظْفَرْ بِسُلُوْكِ مَسْلَكِهِمْ ثُمَّ اشْكُرِ اللهَ تَعَالَىٰ شَانُهُ عَلَىٰ اقْتِدَآئِكَ بِهِمْ وَاقْتِفَآئِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ وَانْخِرَاطِكَ فِيْ سِلْكِهِمْ اهـ. نَسْأَلُ اللهَ السَّتْرَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

بَابُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةِ

اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الحَقِّ أَهْلَ السُّنَّةِ وّالجَمَاعَةِ هُمُ الأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي الإِعْتِقَادِ وَمَنْ أَخَذُوا عَنْهُمْ الحَقَّ مِنْ سَلَفِهِمِ الصَّالِحِ، وَهُمْ أَعْلامُ الهُدَىٰ وَقَادَةُ الْمُسْلِمِيْنَ فِي الدِّيْنِ مِنْ أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّالِثِ إِلَىٰ الآنَ، بَلْ إِلَىٰ خِتَامِ زَمَنِ الإِيْمَانِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ.

عَمَلُهُمْ مُتَوَقِّفٌ عَلَىٰ أُصُوْلِ الشَّرِيْعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَفَرْعِهَا، وعَقِيْدَتُهُمْ هِيَ الصَّحِيْحَةُ وَحْدَهَا لا إِفْرَاطَ فِيْهَا وَلا تَفْرِيْطَ وَهِيَ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِذَاتِهِ أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُوْلُهُ ﷺ مِنَ الكَمَالِ اللاَّئِقِ بِهِ جَلَّ وَعَزَّ وَنَفْيُ التَّشْبِيْهِ وَالنَّقَآئِصِ عَنْهُ سُبْحَانَهُ. وَعِلْمُهُمْ هُوَ الرَّاسِخُ الْمَوْثُوْقُ بِهِ لأَنَّهُمْ يَاخُذُوْنَ العِلْمَ عَنْ الثِّقَاتِ جِيْلاً بَعْدَ جِيْلٍ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ رَسُوْلِ رَبِّ العَالَمِيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَيْضاً هُمْ أَئِمَّةُ التَّفْسِيْرِ وَالحَدِيْثِ وَالعَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ وَالفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ وَالأَدَبِ فِيْ كُلِّ عَصْرٍ فَلا يُوْجَدُ فَنٌّ مِنْ فُنُوْنِ الشَّرِيْعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الغَرَّآءِ إِلَّا وَهُمُ القَآئِدُوْنَ فِيْهِ الْمُقْتَدُوْنَ بِهِمْ فِيْهِ أَوَّلاً وَآخِرًا.

وَأَيْضًا هُمْ أَصْحَابُ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ الفُقَهَآءِ أَصْحَابُ أَبِيْ حَنِيْفَةَ وَأصحابُ الشَّافِعِيِّ إِلَّا رَعَاعًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَصْحَابُ مَالِكٍ قَاطِبَةً وَأَصْحَابُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ إِلَّا رَعَاعًا مِنَ الْمُجَسِّمَةِ.

ثُمَّ إِنْ أَردتَّ أَنْ تَعْرِفَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةَ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةَ مَعْرِفَةً تَامَّةً زَآئِدَةً عَلَىٰ مَا ذَكَرْتُهُ فَانْظُرْ كُتُبَ الطَّبَقَاتِ طَبَقَاتِ الْمُفَسِّرِيْنَ وَالْمُحَدِّثِيْنَ وَالفُقَهَآءِ وَغَيْرِهَا تَجِدُ فِيْهَا مَا يَشْفِيْ غَلِيْلَكَ وَتَرَىٰ الحَقِيْقَةَ أَحْسَنَ مِمَّا ذَكَرْتُهَا لا كَمَا قَالَتْ افْتِرَاءً وسَفَاهَةً الفِرْقَةُ السَّفِيْهَةُ الْمَارِقَةُ مِنَ دِيْنِ الإِسْلامِ الَّتِيْ صَدَقَ عَلَيْهَا قَوْلُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ حَيْنَ قَالَ ﷺ: «يَمْرُقُوْنَ مِنَ الدِّيْنِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لا يَعُوْدُوْنَ».

فَيَا أَخِيَ الْمُسْلِمَ لا تُضَيِّعْ حَظَّكَ مِنَ دَارِ السَّلامِ وَلا تَنْسَ الإِقْتِدَآءَ بِأَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الَّذِيْنَ هم العُلَمَآءُ العَامِلُوْنَ بِالشَّرِيْعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ النَّاقِدُوْنَ النَّافُوْنَ الخَبَثَ عَنِ العِلْمِ وَالعَقِيْدَةِ وَالعَمَلِ كَمَا

يَنْفِي الكِيْرُ الخبَثَ عَنِ الحَدِيْدِ الْمُمَيِّزُوْنَ بَيْنَ الصَّحِيْحِ وَالسَّقِيْمِ وَبَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ.

وَهُمُ الأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي الإِعْتِقَادِ وَمَنْ أَخَذُوا عَنْهُمْ الحَقَّ مِنْ سَلَفِهِمِ الصَّالِحِ لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِيْنَ حَفِطَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِمْ دِيْنَ الإِسْلامِ الحِفْظَ الْمَوْعُوْدَ حِيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الحِجْرِ: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ».

فَحَفِظُوْهُ حِيْنَمَا مَرِجَ البَاطِلُ بِالحَقِّ وَرَبَا البَاطِلُ، وَلَوْلا هُمْ لَمَا بَلَغَنَا دِيْنٌ وَلا بَقِيَ الشَّرْعُ الصَّحِيْحُ. فَحِيْنَئِذٍ لا تَنْسَ فَضْلَهُمْ عَلَىٰ مَنْ خَلَطَ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ وَبَيْنَ الإِسْلامِ وَالكُفْرِ، وَمَالَ إِلَىٰ اتِّبَاعِ هَوَىٰ النَّفْسِ وَالدُّنْيَا وَالشَّيْطَانِ. نَسْأَلُ اللهَ السَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالسَّلامَةَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ بِحَقِيْقَةِ الحَالِ

بابُ النَّصِيْحَةِ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِيْ تَبْيِيْنِ الْمَخْلُوْقِ وَعَدَمِ مُشَابَهَتِهِ لِلْخَالِقِ

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَنَّ الْمَخْلُوْقَ قِسْمَانِ لا ثَالِثَ لَهُمَا القِسْمُ الأَوَّلُ العَرَضُ وهْوَ الصِّفَةُ الحَادِثَةُ سَوَآءٌ كَانَتْ مَرْئِيَّةً كَالحَرَكَةِ وَالسُّكُوْنِ وَالالوَانِ، أَوْ مَعْقُوْلَةً كَالقُدْرَةِ وَالعِلْمِ الحَادِثَيْنِ، والقِسْمُ الثَّانِيْ الجَوْهَرُ وَهْوَ قِسْمَانِ الأَوَّلُ الجَوْهَرُ الفَرْدُ وَهْوَ الجُزْءُ الَّذِيْ بَلَغَ مِنَ الصِّغَرِ غَايَةً، وَلَيْسَ لَهُ بُعْدٌ مِنَ الأَبْعَادِ الثَّلاثَةِ لا يَتَجَزَّءُ طُوْلاً وَلا عَرْضاً وَلا عُمْقاً، وَالثَّانِي الجَوْهَرُ الجِسْمُ وَهْوَ الْمُرَكَّبُ فَيَتَجَزَّءُ طُوْلاً أَوْ عَرْضاً أَوْ عُمْقاً أَوِ اثْنَيْنِ أَوْ كُلاًّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُتَخَيِّلَ قَدْ أَدْرَكَ الْمَحْسُوْسَاتِ أَوَّلاً فَيَتَخَيَّلُ الأَشْيَاءَ الْمُشَابِهَةَ لِمَا أَدْرَكَهُ بِحَوَّاسِهِ فَلا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَتَخَيَّلَ الشَّيْئَ إِلَّا أَنْ يَكُوْنَ هَٰذَا الشَّيْءُ مُوَافِقاً لِمَا أَدْرَكَهُ بِحِسِّهِ وَجْهاً مِنْ الوُجُوْهِ، وَاللهُ ﷻ لا يُشْبِهُ شَيْئاً مِنَ الْمَخْلُوْقَاتِ، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَخْبَرَنَا بِذَٰلِكَ

فَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ مَرْيَمَ: «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا». أَيْ مُمَاثِلاً وَنَظِيْراً لا، وَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الشُّوْرَىٰ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الإِخْلاصِ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ».

وَقَدْ نَهَانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُبَاشَرَةً عَنْ أَنْ نُشَبِّهَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ فَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾».

وَأَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أَيْضًا أَنَّا لا نَسْتَطِيْعُ فِي الدُّنْيَا إِدْرَاكَ حَقَآئِقِ بَعْضِ الْمَخْلُوْقَاتِ الْمَوْجُوَدَةِ حَيْثُ قَالَ فِيْ الحَدِيْثِ القُدْسِيِّ «أَعْدَدتُّ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِيْنَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ مَاجَهْ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ كَلامَ اللهِ جَلَّ شَانُهُ يُخْبِرُكَ أَنَّ الجَنَّةَ مُخَالِفَةٌ مِنْ كُلِّ مَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ مَعَ أَنَّهَا مِثْلُكَ فِي الْمَخْلُوْقِيَّةِ وَمَوْصُوْفَةٌ لَكَ بِكُلِّ مَا

يُفْهَمُ بِهَا، فَكَيْفَ تَدَّعِيْ إِدْرَاكَ حَقِيْقَةِ اللهِ الخَالِقِ؟!! وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ تَعَالَىٰ عَجْزَكَ عَنْ إِدْرَاكِ حقِيْقَةِ بَعْضِ الْمَخْلُوْقِ. أَمْ كَيْفَ تَنْقَادُ بِتَخَيُّلِكَ؟!!.

وَقَالَ أَهْلُ الحَقِّ: كَفَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَلْقَهُ العُقَلاءَ عَنِ السُّؤَالِ عَنْ بَعْضِ الْمَخْلُوْقَاتِ الْمَوْجُوْدَاتِ حَالاً وَقَدْ عَجزَ الخَلْقُ عَنْ إِدْرَاكِهِ فَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الإِسْرَاءِ: «وَيَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الرُّوْحِ قُلِ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيْ وَمَا أُوْتِيْتُم مِّنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيْلاً». فَكَفُّهُمْ عَنْ بَحْثِ حَقِيْقَةِ الخَالِقِ وَاقْتِصَارُهُمْ بِالإِيْمَانِ بِهِ عَزَّ شَأْنُهُ أَوْلَىٰ بِهِمْ، وَقَالَ حَكِيْمٌ مِنْهُمْ:

حَقِيْقَةُ الْمَرْءِ لَيْسَ الْمَرْءُ يُدْرِكُهَا ... فَكَيْفَ يُدْرِكُ كُنْهَ الخَالِقِ الأَزَلِيْ

وَفِيْمَا ذَكَرْنَاهُ مَقْنَعٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ.

فَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لا يُشْبِهُ شَيْئاً مِنَ الْمَخْلُوْقِ ونَهَانَا عَنْ أَنْ نُشَبِّهَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ وَأَخْبَرَنَا أَيْضاً أَنَّا قَدْ عَجَزْنَا عَنْ إِدْرَاكِ حَقَآئِقِ بَعْضِ الْمَخْلُوْقَاتِ الْمَوْجُوْدَاتِ فَكَيْفَ يَدَّعِيْ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ

إِدْرَاكَ حَقِيْقَةَ اللهِ؟!! حَتَّىٰ يَدَّعِيَ لَهُ أَعْضَآءً حَقِيْقِيَّةً وَجْهاً حَقِيْقِياً وَرِجْلاً حَقِيْقِيَّةً وَيَداً حَقِيْقِيَّةً وَمَكَاناً حَقِيْقِياً وَجِهَةً حَقِيْقِيَّةً، تَنَزَّهَ اللهُ عَمَّا يَقُوْلُ الظَّالِمُوْنَ تَنَزُّهاً كَبِيْرًا.

نَقُوْلُ لِلْمُسْلِمِيْنَ نَصِيْحَةً اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَاحْذَرُوا مَا يُثِيْرُهُ الْمُفَرِّطُوْنَ مِنْ تَشْبِيْهِ اللهِ بِخَلْقِهِ وَتَصْوِيْرِهِ بِصُوَرِ خَلْقِهِ مُنْقَادِيْنَ لِمَا سَوَّلَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ وَاتَّبَعَتْهُ هَوَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلا تَغْتَرُّوا بَتَسْوِيْلاتِهِمْ بِالقُرْآنِ والأَحَادِيْثِ بَعْدَ تَشْبِيْهِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالخَلْقِ فَإِنَّ تَشْبِيْهَ اللهِ بِخَلْقِهِ ضَلالٌ وَكُفْرٌ كَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

ثُمَّ نَقُوْلُ لِلْمُفَرِّطِيْنَ نَصِيْحَةً: اللهَ اللهَ أَيُّهَا الْمُفَرِّطُوْنَ وَتُوْبُوْآ إِلَىٰ اللهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتوا عَلَىٰ هَٰذِهِ الخَطِيْئَةِ الشَّنِيْعَةِ الَّتِيْ هِيَ تَجْسِيْمُ اللهِ وَتَشْبِيْهُهُ بِخَلْقِهِ، فَإِنَّ ذَٰلِكَ حَرَامٌ وَضَلالٌ وَكُفْرٌ مُبِيْنٌ. وَلا تَكُوْنُوْا مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ الَّذِيْنَ أَخْبَرَنا اللهُ عَنْهُمْ إِذْ يَقُوْلُ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُوْلُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ يُخَادِعُوْنَ اللهَ وَالَّذِيْنَ

آمَنُوْا وَمَا يُخَادِعُوْنَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ فِيْ قُلُوْبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ بِمَا كَانُوْا يُكَذِّبُوْنَ وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوْا فِي الأَرْضِ قَالُوْا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُوْنَ أَلآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُوْنَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُوْنَ». وَلا تَكُوْنُوْا أَيْضاً مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ الَّذِيْنَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْهِمْ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «وَإِذَا قِيْلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ».

وَقَدْ أَخَذتُّمْ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَكْفِيْكُمْ إِثْماً وَمَالاً وَأَظَلَّنَا حِيْنَ يَكْثُرُ الْمَالُ فَيَفِيْضُ وَحِيْنَ لا يُوْجَدُ مَنْ يَقْبِضُ الصَّدَقَةَ إِمَّا لِكَثْرَةِ الْمَالِ وَإِمَّا لِعَدَمِ الرَّغْبَةِ فِيْهِ وَأَمَامَكُمْ يَوْمٌ لا يَنْفَعُ فِيْهِ مَالٌ وَلا بَنُوْنَ إِلَّا مَنْ أَتَىٰ اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ وَخُذُوْا العَقِيْدَةَ الحَقَّ عَقِيْدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَإِنَّهَا هِيَ نَفْيُ التَّجْسِيْمِ وَالتَّشْبِيْهِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ وَإِثْبَاتُ كَمَالاتِهِ تَعَالَىٰ لَهُ وَهِيَ أَسَاسُ دِيْنِ الإِسْلامِ الحَنِيْفِ الَّذِيْ إِرْتَضَاهُ اللهُ لَنَا دِيْناً إِذْ يَقُوْلُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الْمَائِدَةِ: «وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيْناً». هَذِهِ هِيَ النَّصِيْحَةُ الحَقُّ وَلَكِنْ لا تَنْفَعُ النَّصِيْحَةُ إِلَّا الحَيَّ قَلْباً الْمُصْغِيَ لَهَا

وَأَمَا مَنْ قُدِّرَ لَهُ الخِذْلانُ ومَاتَ قَلْبُهُ بِحُبِّ لَذَّاتِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ وَالْمَعَاصِي الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ لا سِيَّمَا بِدَعُ الخَوَارِجِ والرَّوَافِضِ فَالنَّصِيْحَةُ وَعَدَمُهَا عِنْدَهُ سَوَاءٌ كَمَا قَالَ الحَكِيْمُ:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَياً ... وَلَكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِيْ

وَلَوْ نَاراً نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ ... وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِيْ رَمَادِ

هَذَا، وَبِاللهِ التَّوْفِيْقُ. نَسْأَلُ اللهَ السَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالسَّلامَةَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ.

بَابُ التَّحْذِيْرِ مِنْ فِرَقِ الضَّلالِ

مَدَحَ اللهُ تَعَالَىٰ هَٰذِهِ الأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ بِأَمْرِهَا بِالْمَحَاسِنِ وَبِتَحْذِيْرِهَا عَنِ الْمَسَاوِيْ وَأَمَرَهَا وَرَغَّبَهَا بِذَٰلِكَ فَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ». وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَىٰ الخَيْرِ وَيَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

وَكَذَا أَمَرَ الأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ وَرَغَّبَهَا رَسُوْلُ اللهِ ﷺ بِذَٰلِكَ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وأَصْحَابُ السُّنَنِ الأَرْبَعَةُ وَابْنُ حِبَّانَ وَأَحْمَدُ وَالبَيْهَقِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَأَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَالبَغَوِيُّ.

فَإِذَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ورَسُوْلُهُ ﷺ هَٰذِهِ الأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ وَرَغَّبَهَا بِذَٰلِكَ وَلَمْ يَسْكُتْ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ عَمَّنْ غَشَّ النَّاسَ فِيْ أَمْرِ الطَّعَامِ فَكَيْفَ نَسْكُتُ بَعْدَ ذَٰلِكَ عَمَّنْ غَشَّ النَّاسَ فِيْ أَمْرِ الدِّيْنِ. بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا

الإِمْتِثَالُ بِأَمْرِ اللهِ ﷻ وَأَمْرِ رَسُوْلِهِ ﷺ وَحِيْنَئِذٍ نَقُوْلُ: تَنَبَّهُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُوْنَ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ مِنَ الضَّلالِ فَقَدْ كَثُرَ فِي العَالَمِ الإِسْلامِيِّ فِتْنَةٌ حَالِقَةٌ تَحْلِقُ الدِّيْنَ وَتُفْسِدُهُ عَمَّنْ لَيْسَ فِيْ دِيْنِهِ عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ، وَلَمْ يَاخُذْ حِذْرَهُ مِنْهَا، يَقُوْدُ هَٰذِهِ الفِتْنَةَ فِرْقَةٌ إِرْهَابِيَّةٌ اجْتَمَعَ فِيْهَا مَا تَفَرَّقَ فِي البِدَعِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الضَّلالِ وَزَادَتْ عَلَيْهَا أَنَّهَا عُمَّالُ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَىٰ تَعْمَلُ بِهَدْمِ الدِّيْنِ بِاسْمِ الدِّيْنِ وَتَاخُذُ بِذٰلِكَ الرَّوَاتِبَ إِمَّا مُبَاشَرَةً وَإِمَّا بِوَاسِطَةٍ وَهَٰذِهِ الفِرْقَةُ هِيَ أَتْبَاعُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ عَامَلَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِعَدْلِهِ وَأَبْدَلَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِأَهْلِ الأَمْنِ وَالهِدَايَةِ.

فَتُمَزِّقُ وَهَٰذِهِ الفِرْقَةُ طَاقَتَهَا إِرْباً إِرْباً دِيْنَ الإِسْلامِ أَصْلاً وَفَرْعاً فَتَسْتَهْدِفُ مُبَاشَرَةً الأَقْوَالَ وَالأَفْعَالَ الشَّنِيْعَةَ الآتِيَةَ وَغَيْرَهَا فِي نَبِيِّ الهُدَىٰ والرّحمةِ ﷺ وَفِيْ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ بَعْدَهُ ﷺ أَجْمَعِيْنَ وَفِيْ دِيْنِ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِيْنَ جَمِيْعاً، وَتَاخُذُ بِذٰلِكَ الرَّوَاتِبَ، حَمَىٰ اللهُ دِيْنَنَا وَأَهْلَهُ مِنْهَا وَغَيْرِهَا مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ.

فَإِذَا أَردتَّ مَعْرِفَةَ تَمْزِيْقِ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ دِيْنَ اللهِ فَاعْلَمْ أَوَّلاً: أَنَّ هَٰذِهِ الفِرْقَةَ قَالَتْ فِي اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سَفَاهَةً وافْتِرَآءً ونَقْلاً عَنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ مَا يَاتِيْ فِيْ بَابِهِ إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ التَّجْسِيْمِ وَتَشْبِيْهِ اللهِ تعالىٰ بِالخَلْقِ.

وَثَانِياً: أَنَّهَا كَفَّرَتِ الْمُسْلِمِيْنَ تَكْفِيْراً عامًّا وَضَلَّلَتْهُمْ تَضْلِيْلاً عَامًّا مِنَ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْنَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ وَالخَلَفِ الصَّالِحِ وَالأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةِ وَالْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ الْمُتَّبَعَةِ وَالصُّوْفِيَّةِ الْمُتَمَسِّكِيْنَ بِالشَّرِيْعَةِ وَكُلِّ أَفْرَادِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ وَحَتَّىٰ السَّيِّدَةِ حَوَّاءَ أُمِّ البَشَرِ كمَا فِي الكِتَابِ الَّذِيْ أَلَّفَهُ أَحَدُ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ وَسَمَّاهُ «الدِّيْنَ الخَالِصَ». بِمَا افْتَرَتْ عَلَيْهَا وَبِالتَّوَسُّلِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ الصَّادِرِ مِنْهُمْ قَدِيْماً وَحَدِيْثاً سَلَفاً وَخَلَفاً مِنْ غَيْرِ نَكِيْرٍ، بَلْ يَعُدُّوْنَهُ مِنْ أَقْرَبِ القُرُبَاتِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعلا كَمَا هُوَ مُبَيَّنٌ وَمُفَصَّلٌ فِيْ مَوَاضِعِهِ فَهَٰذِهِ الفِرْقَةُ اتَّصَفَتْ بِمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِيْ صَحِيْحِهِ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كَانَ

يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ، وَيَقُوْلُ: «إِنَّهُمْ انطَلَقُوا إِلَىٰ آيَاتٍ نَزَلَتْ عَلَىٰ الكُفَّارِ فَجَعَلُوْهَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِيْنَ».

وَمِنْ أَشْنَعِ تَكْفِيْرِ هَٰذِه الفِرْقَةِ لِلْمُسْلِمِيْنَ عُمُوْماً مَا قَالَتْهُ بِكُلِّ وَقَاحَةٍ وَسَخَافَةِ عَقْلٍ كَمَا ذَكَرَ زَعِيْمُهُمْ وَمُمَثِّلُهُمْ الخَارِجِيُّ الإِرْهَابِيُّ مُحَمَّد أَحْمَد بَاشْمِيْل فِيْ كِتَابِهِ الْمُسَمَّىٰ «كَيْفَ نَفْهَمُ التَّوْحِيْدَ». قَالَ: أَبُوْ جَهْلٍ وَأَبُوْ لَهَبٍ أَكْثَرُ تَوْحِيْدًا وَأَخْلَصُ إِيْمَانًا بِاللهِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ لآ إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ ﷺ لأَنَّهُمْ يَتَوَسَّلُوْنَ بِالأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ اهـ.

انْظُرْ كَيْفَ تُفَضِّلُ هَٰذِهِ الفِرْقَةُ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا لَهَبٍ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَلا يَسْتَثْنُوْنَ وَاحِداً مِنْهُمْ حَتَّىٰ الصَّحَابَةَ عَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اللهِ وَصَبِيْبُ الرَّحْمَةِ؟!! بَلْ وَحَتَّىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْمَلُهُ اسْمُ الْمُسْلِمِيْنَ بِنَصِّ القُرْآنِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ: «قُلْ إِنَّ صَلاتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ لا شَرِيْكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُسْلِمِيْنَ». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الزُّمَرِ: «قُلْ إِنِّيْ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّيْنَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُوْنَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِيْنَ». وَأَيْضًا هُوَ ﷺ يَأْمُرُ بِالتَّوَسُّلِ وَيُقَرِّرُهُ.

فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلاً ضَرِيْرًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنَّ يُعَافِيَنِيْ فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذٰلِكَ وَهْوَ خَيْرٌ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ قَالَ: فَادْعُهُ قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وَضُوْءَهُ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهٰذَا الدُّعَاءِ فَيَقُوْلَ: اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّيْ تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّيْ فِيْ حَاجَتِيْ هٰذِهِ لِتُقْضَىٰ لِيْ اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ». رَوَاهُ التِّرمذِيُّ والنَّسَائِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ والحَاكِمُ وَأَحْمَدُ وَالبَيْهَقِيُّ بِأَسَانِيْدَ صَحِيْحَةٍ وَقَالَ الحَاكِمُ: هٰذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هٰذَا حَدِيْثٌ حَسَنٌ صَحِيْحٌ غَرِيْبٌ. وَفِيْ رِوَايَةِ الحَاكِمِ قَالَ عُثْمَانُ: «فَوَاللهِ مَا تَفَرَّقْنَا وَلَا طَالَ بِنَا الحَدِيثُ حَتَّىٰ دَخَلَ الرَّجُلُ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ».

وَتَابَعَ هَؤُلاءِ العُلَمَاءَ النُّقَادَ الأَثْبَاتَ زَعِيْمُ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ الالبَانِيُّ فِيْ تَصْحِيْحِ هَٰذَا الحَدِيْثِ وَلا حَاجَةَ لَنَا إِلَىٰ تَصْحِيْحِهِ.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﵁ «كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَىٰ بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا ﷺ فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَالحَاكِمُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَأَبُوْ عُوَانَةَ.

وَتَوَسَّلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا كَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِىٰ فِي الجُزْءِ الرَّابِعِ وَالعشْرِيْنَ فِي صَحِيْفَةِ ثَلاثِمائَةٍ وَإِحْدَىٰ وَخَمْسِيْنَ وَأَخْرَجَهُ أَيْضاً أَبُوْ نُعَيْمٍ فِىٰ حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ فِي الجُزْءِ الثَّالِثِ فِيْ صَحِيْفَةِ مائةٍ وَإِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الطَّبَرَانِىٰ فِىٰ الأَوْسَطِ فِي الجُزْءِ الأَوَّلِ فِي صَحِيْفَةِ سَبْعٍ وَسِتِّيْنَ رَقْمَ مائةٍ وتسعٍ وثمانينَ. قَالَ الحَافِظُ الهَيْثَمِىٰ فِي الجُزْءِ التَّاسِعِ فِي صَحِيْفَةِ مائَتَيْنِ وَسَبْعٍ وَخَمْسِيْنَ: فِيْهِ رَوْحُ بْنُ صَلاحٍ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَفِيْهِ مَقَالٌ وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيْحِ.

وَكَانَتِ الصَّحَابَةُ ﭫ أَجْمَعِيْنَ يَعْمَلُوْنَ التَّوَسُّلَ اقْتِدَاءً بِنَبِيِّهِم ﷺ مِّنْ غَيْرِ نَكِيْرٍ كَمَا تَرَىٰ فِيْ تَوَسُّلِ عُمَرَ ﭬ الَّذِيْ هُوَ فِيْ صَحِيْحِ البُخَارِيِّ.

ثُمَّ تَخَطَّتْ هَـٰذِهِ الفِرْقَةُ الْمَارِقَةُ الإِرْهَابِيَّةُ خَطْوَةً أَبْشَعَ مِمَّا مَرَّ فَسَمَّتْ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ صَنَمًا كَمَا أَفْتَىٰ بِذَٰلِكَ زُعَمَاؤُ هَـٰذِهِ الفِرْقَةِ قَدِيْماً وَحَدِيْثاً مِنْ هَـٰذِهِ الزُّعَمَآءِ أَبُوْ بَكْرٍ الجَزَائِرِيُّ الخَارِجِيُّ الإِرْهَابِيُّ قَالَ وَهْوَ يُشِيْرُ إِلَىٰ قَبْرِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَنْ يَسْتَقِيْمَ أَمْرُ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ حَتَّىٰ يُزِيْلُوا هَـٰذَا الصَّنَمَ صَنَمَ القُبَّةِ الخَضْرَاءِ مِنْ هُنَا». «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ». هَـٰؤُلاءِ مِمَّنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْهِمْ فِيْ سُوْرَةِ يُوْنُسَ: «كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِيْنَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ». وَمِمَّنْ أَوْعَدَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ: «إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْسِبُوْنَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُوْنَ». وَهَـٰذِهِ الفِرْقَةُ فَرْعٌ عَنِ الخَوَارِجِ الْمُعَاصِرِيْنَ لِلصَّحَابَةِ ﭫ أَجْمَعِيْنَ وَمِنَ الْمَعْلُوْمِ أَنَّ هـٰؤُلآءِ الْمُعَاصِرِيْنَ لِلصَّحَابَةِ كَفَّرُوا الصَّحَابَةَ فَتَأَسَّتْ بِهِمْ

هَٰذِهِ الفِرْقَةُ وَسَلَكَتْ مَسْلَكَهُمْ فَوَصْفُ الخَوَارِجِ ظَاهِرٌ فِيْ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ كَظُهُوْرِ الشَّمْسِ فِي الأُفُقِ رَابِعَةَ النَّهَارِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَزَادَتْ عَلَيْهِمْ كَثِيْراً مِنَ الخَبَائِثِ.

وَأَخْبَرَ ﷺ أَيْضًا بِتَتَابُعِهِمْ فَقَالَ ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ كُلَّمَا قُطِعَ قَرْنٌ نَشَأَ قَرْنٌ حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِي بَقِيَّتِهِمْ الدَّجَّالُ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَأَبُوْ دَاوُوْدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَالدَّارِمِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ وَأَحْمَدُ.

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِيْنَ مَرَّةً حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِيْ عِرَاضِهِمْ الدَّجَّالُ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ وَرَوَاهُ أَيْضاً الطَّبَرَانِيُّ، وَمَعْنَىٰ فِيْ عِرَاضِهِمْ فِيْ جَيْشِهِمِ العَظِيْمِ أَوْ فِيْ أَوَاخِرِهِمْ.

وَثَالِثاً: أَنَّهَا اسْتَحَلَّتْ سَفْكَ دِمَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ ظُلْماً وَسَمَّتْ بِذَٰلِكَ جِهَاداً فَقَتَلَتْهُمْ قَتْلاً هَائِلاً بِاسْمِ الدِّيْنِ بَعْدَ أَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ

سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَآئُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيْهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيْماً ﴿٩٣﴾». وَبَعْدَ أَنْ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَالبَيْهَقِيُّ بِأَسَانِيْدَ صَحَاحٍ.

وَرَابِعاً: أَنَّهَا اسْتَحَلَّتْ نَهْبَ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِيْنَ ظُلْماً فَنَهَبَتْ نَهْباً ذَرِيْعاً فَظِيْعاً وَسَمَّتْ ذٰلِكَ غَنِيْمَةً بَعْدَ أَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «وَلا تَاكُلُوآ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «يَٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لا تَاكُلُوآ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ». وَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيْهِ نَاراً وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيْراً ﴿٣٠﴾». وَخَامِساً: أَنَّهَا اسْتَحَلَّتْ هَتْكَ حُرُمَاتِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ فَمَحَتْ شَعَآئِرَ الإِسْلامِ وَحَفَرَتْ مَقَابِرَ صُلَحَآءِ الْمُسْلِمِيْنَ وَعُلَمَآئِهِمْ وَقَادَتِهِمْ فِي الدِّيْنِ بَعْدَ أَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ

شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الحَجِّ: «وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَىٰ القُلُوْبِ ﴿٣٢﴾». وَهَٰذَا الحَفْرُ وَالْمَحْوُ شَيْئٌ لَمْ تَفْعَلْهُ فِرْقَةٌ مِنَ البِدَعِ قَبْلَهَا.

وَسَادِساً: أَنَّهَا اسْتَحَلَّتْ هَتْكَ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِيْنَ فَسَبَّتْهُمْ سَبًّا شَنِيْعاً وَسَمَّتْهُمْ أَصْنَاماً بَعْدَ أَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الحُجُرَاتِ: «وَلا تَنَابَزُوا بِالالقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوْقُ بَعْدَ الإِيْمَانِ». وَبَعْدَ أَنْ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَابْنُ حِبَّانَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَأَحْمَدُ، وَبَعْدَ أَنْ قَالَ ﷺ أَيْضاً: «فَإِنَّ دِمَآئَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَٰذَا فِيْ بَلَدِكُمْ هَٰذَا فِيْ شَهْرِكُمْ هَٰذَا». رَوَاهُ أَصْحَابُ الأُمَّهَاتِ السِّتَّةِ وَالحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ وَالدَّارِمِيُّ وَأَحْمَدُ وَالبَغَوِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ.

وَسَابِعاً: أَنَّهَا حَارَبَتْ دُوَلَ الإِسْلامِ وَفَتَنَتْهَا مَعَ سِلْمِهَا لِلْكُفَّارِ فَمَا مِنْ دَوْلَةٍ كَافِرَةٍ فِي العَالَمِ إِلَّا وَهِيَ تَتَعَامَلُ بِهَا بِسِلْمٍ وَمَا مِنْ دَوْلَةٍ

مُسْلِمَةٍ فِي العَالَمِ لا تُوَافِقُهَا بِخُزَعْبَلاتِهَا وَإِرْهَابِيَّتِهَا ثُمَّ تَهَوُّرِهَا إِلَّا وتُثِيْرُ فِيْهَا الشَّغَبَ وَالقَتْلَ وَالنَّهْبَ حَتَّىٰ جَعَلَتْ عَالَمَ الإِسْلامِ مُشَوَّهاً بِالفِتْنَةِ وَالهَرَجِ، اتِّصَافًا بِمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِيْ وَصْفِ الخَوَارِجِ عَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «يَقْتُلُوْنَ أَهْلَ الإِسْلامِ وَيَدَعُوْنَ أَهْلَ الأَوْثَانِ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَأَبُوْ دَوُوْدَ وَالنَّسائِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَأَحْمَدُ. وَهَٰذَا الوَصْفُ ظَاهِرٌ فِيْ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ كَظُهُوْرِ الشَّمْسِ فِي الأُفُقِ رَابِعَةَ النَّهَارِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ.

وَسَبَبُ مُحَارَبَةِ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ لِدُوَلِ الإِسْلامِ أَنَّهَا تَرْبَحُ فِي الفِتْنَةِ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُوْلُ ﷺ حَيْثُ قالَ ﷺ: «يَخْرُجُوْنَ عَلَىٰ حِيْنِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ». رَوَاهُ الشَّخَانِ وابنُ حبَّانَ والبغويُّ، وَفِيْ ذٰلِكَ كُلِّهِ ظُهُوْرُ مُعْجِزَاتِ الرَّسُوْلِ ﷺ.

وَثَامِناً: أَنَّهَا إِعْتَادَتْ وَاتَّخَذَتْ دِيْنًا عُقُوْقَ أُمَّهَاتِهَا وآبَائِهَا وَمَشَايِخِهَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ بِقَتْلِهِمْ وبِقَذْفِهِمْ بِالزِّنَىٰ إِن لَّمْ يُوَافِقُوْهَا بِالتَّكْفِيْرِ.

وَتَاسِعاً: أَنَّهَا قَالَتْ افْتِرَآءً: لا يُتَّبَعُ لأَحَدٍ فِيْ دِيْنِ اللهِ بَلْ يَاخُذُ كُلُّ أَحَدٍ دِيْنَهُ عَلَىٰ مَا فَهِمَ بَعْدَ أَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً». وَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ لُقْمَانَ: «وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّأُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿١٥﴾».

وَعَاشِرًا: أَنَّهَا تَخَطَّتْ عَنْ حُدُوْدِ الإِسْلامِ مَعَ تَسَتُّرِهَا فِي اسْمِ الإِسْلامِ فَقَالَتْ افْتِرَاءً فِيْ دِيْنِ اللهِ تَعَالَىٰ: لَيْسَ فِي الدِّيْنِ حُكْمُ نَجَاسَةٍ لا مُغَلَّظَةٍ وَلا مُخَفَّفَةٍ وَلا مُتَوَسِّطَةٍ بَلْ زَعَمَتْ هٰذِهِ الفِرْقَةُ طَهَارَةَ كُلِّ شَيْءٍ.

وَحَادِيْ عَشَرَ: أَبَاحتْ تَرْكَ بَعْضِ الوُضُوْءِ تَارَةً وَكُلِّهِ أُخْرَىٰ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَتَارَةً تَتَمَسَّحُ بِالجُدْرَانِ بلا عُذْرٍ مَعَ وُجُوْدِ الْمَاءِ وَتَارَةً تَتَمَسَّحُ أَقْدَامَهَا مَعَ سَاتِرٍ لَيْسَ خُفاً، وَأُخْرَىٰ بَلا سَاتِرٍ، وَصَلاةٌ بِلا طَهَارَةٍ شَرْعِيَّةٍ لَيْسَتْ صَلاةً كَمَا نَصَّ عَلَىٰ ذٰلِكَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لا تُقْبَلُ صَلاةُ مَنْ أَحْدَثَ

حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَ مَوْتَ مَا الحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ». رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَأَحْمَدُ.

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَأَبُوْ دَاوُوْدَ. وَقَالَ ﷺ: «لا تُقْبَلُ صَلاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَبُوْ عَوَانَةَ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. وَعَنْ عَلِيٍّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيْمُ رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُوْدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ والبيهقيُّ والدّارميُّ والدَّارقطنيُّ والبغويُّ والطَّحاويُّ والطّبرانيُّ وأحمد والبزَّارُ وابنُ أبي شيبةَ وعبدُ الرَّزَّاقِ بأسانيدَ صحاحٍ. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وأبو هريرةَ وعمرانِ بنِ حصينٍ وابن عمر وأَبِي بَكْرَةَ وأُسَامَةَ بْنِ عُمَيْرٍ الهُذَلِيِّ ﵃ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا

صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ». رواه النَّسائيُّ وابنُ ماجهْ وابنُ حبَّانَ وابنُ خزيمةَ والبغويُّ والطَّحاويُّ وأبو عوانةَ والبزَّارُ بأسانيدَ صحاحٍ.

وَثَانِيْ عَشَرَ: أَنَّهَا أَجَازَتْ إِخْرَاجَ جَمِيْعِ الصَّلَوَاتِ عَمْدًا عَنْ أَوْقَاتِهَا الْمَحْدُوْدَةِ لَهَا فِيْ دِيْنِ اللهِ لِغَرَضِ الدُنْيَا كَمَا أَفْتَىٰ بِذَٰلِكَ زَعِيْمُهَا عُمَرْ فَارُوْقْ وَغَيْرُهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِيْنَ كِتَاباً مَوْقُوْتاً».

وَثَالِثَ عَشَرَ: أَنَّهَا أَبَاحَتْ لِغَيْرِ الْمَعْذُوْرِيْنَ مِنْ أَتْبَاعِهَا السُّفَهاءِ الأَكْلَ وَالشُّرْبَ وَالجِمَاعَ بَعْدَ طُلُوْعِ الفَجْرِ فِي رَمَضَانَ إِذَا اشْتَهَوْا، بَعْدَ أَنْ مَنَعَ اللهُ ذَٰلِكَ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ فِي آخِرِ آيَةِ «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ».

وَرَابِعَ عَشَرَ: أَنَّهَا قَالَتْ بُهْتَاناً: إِذَا تَصَالَحَ الزَّوْجَانِ وَوُجِدَ الإِذْنُ لا يُحْتَاجُ العَقْدُ اسْتِحْلالاً لِلزِّنَا وتَزْيِيْفًا لقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: «وَمِنْ سُنَّتِيَ النِّكَاحُ».

وَخَامِسَ عَشَرَ: أَنَّهَا قَالَتْ: لا تَطْلُقُ الْمَرْأَةُ بَتَّاتاً فَإِنَّ الْمُطَلِّقَ يَقُوْلُ طَلَّقْتُكِ وَلَمْ يُطَلِّقْ قَبْلُ فَقَوْلُهُ هَٰذَا لَغْوٌ وَغَيْرَ ذَٰلِكَ مِمَّا تَقْشَعِرُّ وَتَخْجَلُ مِنْ ذِكْرِهُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ. وَهَٰذِهِ الفِرْقَةُ هِيَ الْمَوْصُوْفَةُ بِمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِيْ صَحِيْحَيْهِمَا مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». رَوَاهُ أَصْحَابُ الأُمَّهَاتِ السِّتَّةِ وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَالطَّحَاوِيُّ والبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَلَفْظُهُ لِلبُخَارِيِّ.

وَهَٰذِهِ الأَوْصَافُ ظَاهِرَةٌ فِيْ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ كَظُهُوْرِ الشَّمْسِ فِي الأُفُقِ رَابِعَةَ النَّهَارِ لَيْسَ دُوْنَهَا سَحَابٌ فَمِنْ سَفَاهَتِهَا إِقْرَارُ كُلٍّ مِنْهَا بِأَنَّهُ وَلَدُ الزِّنَا لا يُكَافِؤُ امْرَأَةً نَسِيْبَةً وَيَدُلُّ عَلَىٰ مُرُوْقِهَا مِنَ الدِّيْنِ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ تَكْفِيْرِهَا العَامِّ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَمَا مَعَهُ، فَتَظْهَرُ فِيْ ذَٰلِكَ مُعْجِزَةُ الرَّسُوْلِ ﷺ. ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ الْمُسْلِمِيْنَ قَتْلَ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ وَرَغَّبَهُمْ فِيْهِ

فَقَالَ ﷺ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ». رَوَاهُ أَصْحَابُ الأُمَّهَاتِ السِّتَّةِ وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَالطَّحَاوِيُّ والبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبَغوِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَلَفْظُهُ لِلبُخَارِيِّ.

وَإِنَّمَا فَعَلَ رُؤَسَاءُ هٰذِهِ الفِرْقَةِ جَمِيْعَ ذٰلِكَ اتِّبَاعاً لِهَوَىٰ أَنْفُسِهَا الزَّائِغَةِ عَنِ الحَقِّ وَإِرْضَاءً لأَتْبَاعِهَا السُّفَهَآءِ الَّذِيْنَ يَاخُذُوْنَ مِنْهُمُ الأَمْوَالَ. فَإِنَّ مَا فَعَلَ رُؤَسَاءُ خَوَارِجِ هٰذَا الزَّمَانِ فِيْ دِيْنِ الإِسْلامِ مِثْلُ مَا فَعَلَ عُلَمَآءُ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَىٰ فِيْ دِيْنِهِمْ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ حَيْثُ قَالَ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ يَكْتُبُوْنَ الكِتَابَ بِأَيْدِيْهِمْ ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيْلاً فَوَيْلٌ لَهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيْهِمْ وَوَيْلٌ لَهُم مِّمَّا يَكْسِبُوْنَ ﴿٧٩﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ

عَلَىٰ اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الْمَائِدَةِ: «يُحَرِّفُوْنَ الكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ».

أَلا إِنَّ هَٰذِهِ الفِرْقَةَ هِيَ الفِتْنَةُ فِي الإِسْلامِ، أَرَاحَنَا اللهُ مِنْهَا وَحَفِظَنَا وَأَحْبَابَنَا مِنْهَا دِيْنًا وَنَفْسًا وَمَالاً وَأَهْلاً وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَحْفَظُ الدِّيْنَ وَيَنْصُرُهُ وَحَفِظَنَا بِهِ وَأَعْطَانَا السَّتْرَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن آمِيْنَ.

بَابُ أَسْبَابِ ظُهُوْرِ الفِرَقِ الضَّآلَّةِ وَتَرْكِهَا عَنِ الإِعْتِقَادِ الحَقِّ

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَمَرَ النَّاسَ وَأَوْجَبَهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ تَعَالَىٰ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَأَفْعَالِهِ وَالإِنْقِيَادِ لِذَٰلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الْمَائِدَةِ:

«اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيْدُ العِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿٩٨﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ مُحَمَّدٍ: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». وَقَالَ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الطَّلاقِ: «لِتَعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴿١٢﴾». وَمَا شَاكَلَ هَٰذَا.

دُوْنَ الخَوْضِ فِيْ دَقَائِقِ هَٰذَا الفَنِّ فَامْتَثَلَ الْمُسْلِمُوْنَ بِمَا أُمِرُوْا بِهِ وَاقْتَصَرُوْا فِيْهِ حَتَّىٰ ظَهَرَتِ البِدَعُ يَقُوْدُهُمْ ذَوُو الْمَكْرِ وَالخَبِّ مِنْ دُهَاتِ أَهْلِ الأَدْيَانِ الأُخْرَىٰ الَّذِيْنَ اخْتَفَوْا فِي الإِسْلامِ مَكْرًا وَإِفْسَادًا حِينَمَا انْتَشَرَ الإِسْلامُ بِالسَّيْفِ فِي أَنْحَاءِ العَالَمِ أَيَّامَ الفُتُوْحِ. فَوَجَدُوا فِي الْمُسْلِمِيْنَ نَوْعَيْنِ لَمْ تَكْتَحِلْ أَعْيُنُهُمَا بِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلا انْشَرَحَتْ صُدُوْرُهُمْ بِسَمَاعِ تَعَالِيْمِهِ وَلا صَفَتْ قُلُوْبُهُم مِّنْ آثَارِ الجَاهِلِيَّةِ لا يُبَالُوْنَ أَانْتَصَرَ دِيْنُ الإِسْلامِ أَمْ لَمْ يَنْتَصِرْ.

أَحَدُهُمَا: طَائِفَةٌ مِنَ العَرَبِ الَّذِيْنَ دَخَلُوا فِي الدِّيْنِ بَعْدَ انْتِقَالِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ مِنْ هَـٰذَا العَالَمِ لا رَغْبَةً وَلا رَهْبَةً بَلْ لِدُخُوْلِ قَوْمِهِمْ فِي الدِّيْنِ وَلانْسِيَاقِهِمْ مَعَهُمْ.

وَثَانِيْهِمَا: طَائِفَةٌ مِنْ غَيْرِ العَرَبِ الَّذِيْنَ دَخَلُوا فِي الإِسْلامِ صَوْناً لِدِمَائِهِمْ وَفِرَاراً مِنَ الحُكْمِ عَلَىٰ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِيْ دِيْنِهِ حِيْنَذَاكَ. فَانْتَهَزَ هَـٰؤُلآءِ الدُّهَاتُ هَـٰذَيْنِ النَّوْعَيْنِ وَهَيَّئُوا قُلُوْبَهُمَا لِقَبُوْلِ مَا يَفْتِلُوْنَ مِنَ الْمَكْرِ فَأَظْهَرُوا لِلنَّاسِ آثَارَ الصَّلاحِ وَالحِرْصَ عَلَىٰ تَعَالِيْمِ الدِّيْنِ وَنَفَثُوا سُمُوْمَهُمْ فِيْ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنَ النَّوْعَيْنِ.

فَأَفْسَدُوا مَعَانِيَ مَا ثَبَتَ مِنَ الدِّيْنِ ثُمَّ وَضَعُوا أَحَادِيْثَ تُؤَيِّدُ دَعَاوِيَهُمْ ثُمَّ صَاحُوا صَيْحَةً وَنَدَبُوا مَنْ ذُكِرَ مِنَ الأَغْرَارِ وَهُمُ الشَّبَابُ الَّذِيْنَ لا خَيْرَ فِيْهِمْ لِنُصْرَةِ مَا يُسَمُّوْنَ دِيْناً فَانْخَدَعَ هَـٰؤُلآءِ الشَّبَابُ السُّفَهَآءُ بِمَكْرِ هَـٰذِهِ الدُّهَاتِ لِمَا كُتِبَ لَهُمْ فِيْ سَابِقِ القَضَآءِ مِنَ الخِذْلانِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا، وَمِنْ ضَلالِهِمْ أَنْ وَصَفُوا اللهَ بِمَا هُوَ بَرِيْئٌ مِنْهُ مِنَ التَّشْبِيْهِ

وَالتَّجْسِيْمِ أَوِ التَّعْطِيْلِ أَخْذاً مِنْ مُعَلِّمِيْهِمْ ذَوِي الْمَكْرِ وَالخَبِّ تَنَزَّهَ اللّٰهُ عَنْ ذٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً. فَحِيْنَئِذٍ وَجبَ عَلَىٰ أَهْلِ الحَقِّ العُلَمَاءِ الرَّاسِيْخِيْنَ فِي العِلْمِ القَائِمِيْنَ فِيْ نَشْرِ دِيْنِ اللهِ وَدِفَاعِهِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ دَفْعُ هَؤُلاءِ الأَوْبَاشِ وَشُبَهِهِمْ عَنْ دِيْنِ اللهِ وَنَصِيْحَةُ الْمُسْلِمِيْنَ بِبَيَانِ الحَقِّ فَقَامُوا بِذٰلِكَ أَحَقَّ القِيَامِ.

ثُمَّ انْقَرَضَ هَؤُلاءِ الأَوْبَاشُ بِتَدْمِيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَئِمَّةِ الهُدَىٰ إِلَّا إِفْكُهُمُ الَّذِيْ تَرَكُوْهُ فِي الصُّحُفِ لَمَّا انْتَصَبَ لِدَفْعِ هٰذِهِ الأَوْبَاشِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعَنْ عَقِيْدَةِ الْمُسْلِمِيْنَ أَهْلُ الحَقِّ الرَّاسِخُوْنَ فِي العِلْمِ مِنْ قَادَةِ عُلَمَآءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ كَالصَّحَابَةِ وَمَنْ مَعَهُمْ وَهُمُ الجَمَاعَةُ الْمُشَارُوْنَ بِقَوْلِهِ ﷺ: «هِيَ الجَمَاعَةُ». حِيْنَ سُئِلَ عَنِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ. فَدَفَعُوْهَا بِالحُجَّةِ ثُمَّ السَّيْفِ فَقَمَعُوا أَهْلَ الالحَادِ وَأَطْفَأُوا شُعْلَتَهُمْ وَاسْتَغْنَوْا بِاسْمِ الصُّحْبَةِ وَالتَّابِعِيَّةِ عَنْ كُلِّ اسْمٍ. نَسْأَلُ اللهَ مَحَبَّةَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَتَابِعِيْهِمْ بِالحَقِّ رضي الله عنهم وَالسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

بَابُ سَبَبِ الوَضْعِ لِلَقَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَمَنْ وُضِعَ لَهُ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ هَٰذِهِ الأَوْبَاشَ ثَارَتْ أُخْرَىٰ ثَوْرَةً هَائِلَةً فَدَفَعَهَا بَعْدَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ أَوَائِلُ القَرْقِ الثَّالِثِ مِنْ عُلَمَآءِ أَهْلِ الحَقِّ بِالحُجَجِ البَالِغَةِ كَأَهْلِ الحَدِيْثِ وَالفِقْهِ، مِنُهُمْ إِمَامُنَا الشَّافِعِيُّ وَالإِمَامُ الشَّعْبِيُّ وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ وَالسُّفْيَانَانِ وَيَحْيَىٰ بْنُ مَعِيْنٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَشْهَرُهُمْ فِيْ هَٰذَا الدِّفَاعِ الإِمَامُ الكَبِيْرُ صَاحِبُ الْمَذْهَبِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ وَلَمْ يَظْفَرُوا بِإِخْمَادِهِمْ لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ.

ثُمَّ دَفَعَهَا أَوَاخِرُ القَرْقِ الثَّالِثِ مِنْ عُلَمَآءِ أَهْلِ الحَقِّ بِالحُجَجِ الدَّامِغَةِ الْمُزْهِقَةِ فَأَخْمَدُوْهَا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ أَشْهَرُهُمْ فِيْ هَٰذَا الإِخْمَادِ الإِمَامُ الجَلِيْلُ أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فَاشْتَهَر هَٰذَانِ الطَّائِفَتَانِ بِاسْمِ أَهْلِ السُّنَةِ وَالجَمَاعَةِ لأَنَّـهُمَا الَّذانَ أَخَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ

ﷺ مِنَ الدِّيْنِ عِلْمًا وَعَقِيْدَةً وَعَمَلاً وَيَنْقُلانِ ذٰلِكَ عَمَّنْ يُوْثَقُ بِهِ مِنَ النُّقَّادِ خُلاصَةِ الْمُفَسِّرِيْنَ وَالْمُحَدِّثِيْنَ وَالْفُقَهَآءِ وَالأُدَبَاءِ.

وَلِتَمْيِيْزِهِمَا عَمَنْ يَشْتَرِيْ لَهْوَ الحَدِيْثِ وَيَقُوْلُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ وَعَن رَسُوْلِهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَلا رَسُوْلُهُ ﷺ فَإِنَّ هَـٰذَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ لَمْ يَخْتَرِعَا مَذْهَباً جَدِيْداً فِيْ عَقِيْدَةِ الْمُسْلِمِيْنَ قَبْلَهُمَا مَعَ كَوْنِهِمَا مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ بَلْ تَنَاضَلا وَدَافَعَا عَنْ عَقِيْدَةِ الْمُسْلِمِيْنَ قَبْلَهُمَا بِتَدْوِيْنِ أُصُوْلِ الإِعْتِقَادِ وَبِحُجَجٍ دَامِغَةٍ لا يَقْوىٰ بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ. وَسَلَكَا فِيْ هَـٰذَا الدِّفَاعِ مَسْلَكاً بَيْنَ الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيْطِ، لا يُعَطِّلانِ اللهَ عَنْ كَمَالاتِهِ وَلا يُجَسِّمَانِهِ وَلا يُشَبِّهَانِهِ بِخَلْقِهِ.

فَانْقَسَمَ أَهْلُ القِبْلَةِ آنذَاكَ إِلَىٰ سُنِّيِّيْنَ خَالِصِيْنَ هُمْ أَكْثَرُ الأُمَّةِ يَعْرِفُهُمُ الخَاصُّ وَالعَامُّ وَإِلَىٰ بِدْعِيِّيْنَ قَلِيْلِيْنَ يَعْرِفُهُمْ الخَاصُّ وَالعَامُّ وَمَضَىٰ لِلنَّاسِ مِائَاتٌ كَثِيْرَةٌ مِنَ السِّنِيْنَ عَلَىٰ ذٰلِكَ مَعَ سَلامَةِ دِيْنِهِمْ أَصْلاً وَفَرْعاً مِنْ

دَخِيْلٍ فِيْهِمْ إِلَّا مَا وَرِثَتِ الْمُبْتَدِعَةُ مِمَّنْ مَضَىٰ مِنْ دُخَلائِهَا. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ.

بَابُ وجوبِ دِفَاعِ عَقِيْدَةِ المسْلميْنَ كُلَّ وَقْتٍ مِنَ الفِتَنِ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ تَطَوَّرَ تَخْدِيْعُ الكُفَّارِ عَمَّا كَانَ أَوَّلَ فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ الْمُسْلِمِيْنَ رِجَالاً وَنِسَاءً كُفَّاراً مَكَّارِيْنَ يَزْعُمُوْنَ أَنَّهُمْ أَسْلَمُوا وَيُرِيْدُوْنَ تَعَلُّمَ الدِّيْنِ الإِسْلامِيِّ، فَتَعَلَّمُوا الدِّيْنَ الإِسْلامِيَّ أَصْلاً وَفَرْعاً، وَتَعَمَّقُوا فِيْ ذَٰلِكَ.

ثُمَّ انْقَسَمُوا إِلَىٰ قِسْمَيْنَ قِسْمٌ بَقِيَ فِي الْمُسْلِمِيْنَ فَأَفْسَدَ دِيْنَ الإِسْلامِ أَصْلاً وَفَرْعاً وَأَفْسَدَ الْمُسْلِمِيْنَ فِي الدَّاخِلِ وَسَاهَمَ فِيْ إِثَارَةِ الفِتَنِ فِي الْمُسْلِمِيْنَ، وَفِيْ هَدْمِ دَوْلَةِ الإِسْلامِ الخِلافَةِ العُثْمَانِيَّةِ، ثُمَّ فِيْ نَهْبِ التُّرَاثِ الإِسْلامِيِّ بَعْدَ هَدْمِهَا، ثُمَّ فِيْ تَقْسِيْمِ الْمُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ مَحْمِيَّاتٍ

مُسْتَعْمَرَاتٍ ثُمَّ تَفْرِيْقِ مَا االتَلَفَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِيْ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَقِسْمٌ رَجَعَ إِلَىٰ وَطَنِهِ فَبَنَوا لَهُ فِيْ أَوْطَانِهِمْ مَدَارِسَ وَمَعَاهِدَ، يُعَلِّمُوْنَ الكُفَّارَ العِلْمَ الشَّرْعِيَّ وَآلاتِهِ لِغَرَضَيْنِ مُتَعَلِّقَيْنِ فِيْ مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِيْنَ.

الغَرَضُ الأَوَّلُ: لِيَاخُذُوا مِنْ دِيْنِ الإِسْلامِ مَا يَسْتَعِيْنُوْنَ بِهِ عَلَىٰ حَضَارَتِهِمْ العَاجِلَةِ. الغَرَضُ الثَّانِيْ: لِيُرْسِلُوا إِلَىٰ الْمُسْلِمِيْنَ دَكَاتِرَةً كُفَّاراً يُظْهِرُونَ لِلْمُسْلِمِيْنَ الْمَحَاسِنَ فَيَتَمَكَّنُونَ فِيْ إِضْلالِ الأَغْوِيَاءِ وَإِثَارَةِ الفِتَنِ فِي الْمُسْلِمِيْنَ وَيَزْعُمُوْنَ مَعَ كُفْرِهِمْ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ نُصْرَةِ الدِّيْنِ وَهْوَ الَّذِيْ حَرَّفُوْهُ لَدَيْهِمْ أَصْلاً وَفَرْعاً مُرَوِّجِيْنَ عَمَلَهُمُ الفَاسِدَ الكَاسِدَ بِاسْمِ نُصْرَةِ دِيْنِ الإِسْلامِ، وَبِاسْمِ إِغَاثَةِ الأَيْتَامِ وَالْمَسَاكِيْنِ وَبِنَآءِ مَسَاجِدَ وَرِبَاطَاتٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ تَكُوْنُ لَهُمْ مُعَسْكَراً. فَيَغْتَرُّ بِذَٰلِكَ مَنْ كَتَبَ اللهُ لَهُ الخِذْلانَ فِيْ سَابِقِ القَدَرِ، نَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الخِذْلانِ وَهَٰذِهِ

الدَّخَائِلُ مَشْهُوْرَةٌ فِي دُعَاتِ الخَوَارِجِ فِيْ أَنْحَاءِ العَالَمِ يَعْرِفُهَا مَنْ تَتَبَّعَ أَحْوَالَهَا وَآثَارَهَا فَتُشِيْعُ بِاسْمِ الإِسْلامِ مَا اخْتَلَقُوْهُ فِيْ دِيْنِهِمْ الْمُحَرَّفِ.

فَحِيْنَئِذٍ يَجِبُ عَلَىٰ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِيْ كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ الدِّفَاعُ للدِّيْنِ الإِسْلامِيِّ عَنِ اليَهُوْدِ وَالنَّصَارَىٰ وَعُمَّالِهِمْ وَيَجِبُ التَّحْذِيْرُ عَنْ مَكْرِهِمْ وَالنُّصْحُ لِمَنِ اغْتَرَّ بِهِمْ مِنْ جُهَّالِ أَهْلِ القِبْلَةِ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ.

بَابُ بَعْضِ مَا اخْتَلَقَتْ خَوَارِجُ العَصْرِ فِي اللهِ مِنَ البُهْتَانِ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ هَٰذِهِ الفِرْقَةَ الإِرْهَابِيَّةَ اغْتَرَّتْ بِهَٰؤُلاءِ الدُّسُسِ فِي الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ غَيْرِهِمْ لِمَا وَصَفَهَا الرَّسُوْلُ الكَرِيْمُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ السَّفَاهَةِ

وَلِمَا فِيْ أَيْدِي الدُّسُسِ مِنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَلِمَا كُتِبَ لَهَا فِيْ سَابِقِ القَضَاءِ مِنَ الخِذْلانِ نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ سُوْءِ الخَاتِمَةِ.

فَقَبِلَتِ الدُّسَسَ وَنَقَلَتْ بِتَسْوِيْلاتِهِمْ لِلرَّوَاتِبِ عَلَىٰ ذٰلِكَ حَيْثُ قَالَتْ فِيْ جَمِيْعِ السِنَتِهَا وَمَجَلاَّتِهَا: للهِ مَلَلٌ حَقِيْقِيٌّ وَهْوَ العَجْزُ، وَنِسْيَانٌ حَقِيْقِيٌّ وَهْوَ عَدَمُ العِلْمِ بِالشَّيْءِ بَعْدَ العِلْمِ بِهِ، وَضِحْكٌ حَقِيْقِيٌّ وَهْوَ كَشْفُ الثَّنَايَا، وَمَكْرٌ حَقِيْقِيٌّ وَهْوَ إِيْصَالُ الضُّرِّ بِالغَيْرِ خُفْيَةً، وَتَعَجُّبٌ حَقِيْقِيٌّ وَهْوَ عَدَمُ العِلْمِ بِالسَّبَبِ، وَمَكَانٌ حَقِيْقِيٌّ، وَاسْتِقْرَارٌ حَقِيْقِيٌّ فِيْ مَكَانٍ، وَانْتِقَالٌ حَقِيْقِيٌّ، وَوَجْهٌ حَقِيْقِيٌّ وَهْوَ العُضْوُ، وَرِجْلٌ حَقِيْقِيَّةٌ وَهْيَ العُضْوُ، وَعَيْنٌ حَقِيْقِيَّةٌ وَهْيَ العُضْوُ، وَيَدٌ حَقِيْقِيَّةٌ وَهْيَ العُضْوُ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً، فَإِنَّ هٰذَا تَشْبِيْهٌ بَحْتٌ سَرَىٰ لِهٰذِهِ الفِرْقَةِ مِنَ الدَّكَاتِرَةِ الكُفَّارِ الْمَكَّارِيْنَ.

فَإِنَّ اليَهُوْدَ أَسَاتِيْذَ هٰذِهِ الفِرْقَةِ لَمَّا وَصَفُوْا اللهَ تَعَالَىٰ بِالتَّجْسِيْمِ وَنَسَبُوْا الْمَلَلَ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ كَذَّبَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِذْ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ فِيْ سُوْرَةِ ق: «وَمَا

مَسَّنَا مِن لُّغُوْبٍ». أَيْ مِنْ مَلَلٍ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذَٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً فَتَتَبَّعَتْ هَٰذِهِ الفِرْقَةُ آثَارَ دَكَاتِرَةِ اليَهُوْدِ وَاقْتَفَتْهَا كَمَا تَرَىٰ وَذَٰلِكَ مَا حَذَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ آليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: فَمَنْ؟». رَواهُ الشَّيْخَانِ وَابْنُ حِبَّانَ وَأَحْمَدُ وَالحَاكِمُ وَالطَبَرَانِيُّ.

وَزَادَتْ هَٰذِهِ الفِرْقَةُ عَلَىٰ ذُٰلكَ قَوْلاً أَشْنَعَ مِنْ جَمِيْعِ مَا مَرَّ فَقَالَتْ: إِنَّ آدَمَ ﵇ مِثْلُ اللهِ حَرْفاً بِحَرْفٍ وَزَعَمَتْ أَنَّ اللهَ صَوَّرَ آدَمَ عَنْ ذَاتِهِ!!! كَمَا تُكْتَبُ رِسَالَةٌ ثُمَّ تُدْخَلُ فِي الآلَةِ الفُوْتَغْرَافِيَّةِ وَتُصَوَّرُ فِيْهَا الرِّسَالَةُ فَيُقَالُ هَٰذَا القِرْطَاسُ صُوْرَةُ هَٰذَا لا فَرْقَ بَيْنَ الحُرُوْفِ وَالكَلِمَاتِ، كَذَا فِيْ شَرْحِ العَقِيْدَةِ الوَاسِطِيَّةِ لِزَعِيْمِ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ العُثَيْمِيْن!!!!.

وَمِنَ الْمَعْلُوْمِ أَنَّا شَبِيْهُوْنَ بِأَبِيْنَا آدَمَ فِي الجُمْلَةِ، فَعَلَىٰ زَعْمِهِمْ الفَاسِدِ إِذاً نَحْنُ شَبِيْهُوْنَ بِاللهِ،!!! كَلَّا وَحَاشَا، وَتَنَزَّهَ اللهُ عَمَّا يَقُوْلُ الظَّالِمُوْن

تَنَزُّهاً كَبِيْراً «إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ». فَهَٰذِهِ الفِرْقَةُ دَاخِلَةٌ فِيْ جُمْلَةِ مَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْهِمْ فِيْ سُوْرَةِ النَّبَإِ: «وَكَذَّبُوْا بَآيَاتِنَا كِذَّاباً». لأَنَّهَا كَذَّبَتْ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الشُّوْرَىٰ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْئٌ».

وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الإِخْلاصِ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤاً أَحَدٌ ﴿٤﴾». وَلأَنَّهَا وَقَعَتْ وَارْتَبَكَتْ فِيْمَا قَدْ نَهَانَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُبَاشَرَةً مِنْ تَشْبِيْهِ اللهِ تَعَالَىٰ بِالخَلْقِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «فَلَا تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾».

فَإِذَا قَالَتْ هَٰذِهِ الفِرْقَةُ هَٰكَذَا وَلَمْ تَتُبْ عَنْ هَٰذِهِ الأَقْوَالِ الزَّآئِغَةِ عَنِ الحَقِّ وَتَرْجِعْ إِلَىٰ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ فَاعْلَمُوا أَنَّهَا بَلَغَتْ وَقْتاً أَظْهَرَتْ عَقِيْدَةَ مَنْ عَاهَدَهُ رُؤَسَآئُهَا وَأَخَذُوْا الرَّوَاتِبَ، وَلا تَسْتَحْيِيْ عَنْ إِبْدَآءِ مَا فِيْهَا مِنَ الكُفْرِ والفَسادِ وَلا عَنْ تَكْفِيْرِهَا العَآمِّ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَلا عَنْ اسْتِحْلالِهَا لِدِمَآئِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وأَعْرَاضِهِمْ وَلا عَنْ هَٰذِهِ الإِفْتِرَآتِ عَلَيْهِمْ، فَأَعْلَنَتْ عَقِيْدَةً وَثَنِيَّةً مَحْضَةً بَعْدَ مَا كَانَتْ تُخْفِيْهَا وَاخْتَارَتْهَا عَقِيْدَةً لِمَا يُعْطَىٰ بِهَا مِنَ الرَّوَاتِبِ وَلِذَهَابِ حَيَاءِ الخَالِقِ وَالْمَخْلُوْقِ عَنْ صُدُوْرِهَا، وَلا تُؤْمِنُ بِاللهِ الْمُتَعَالِيْ عَنْ مُشَابَهَةِ الخَلْقِ وَلا تَعْبُدُهُ وَلَكِنْ

تُؤْمِنُ وَتَعْبُدُ شَيْطَاناً مُشَوَّهاً تَصَوَّرَتْهُ فِيْ أَنْفُسِهَا وَأَلْبَسَتْ شَيْطَانَهَا الْمُشَوَّهَ بِلِبَاسٍ حَسَنٍ فَسَمَّتْهُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَىٰ.

وَإِنَّمَا قُلْتُ الْمُشَوَّهَ لأَنَّهَا تَزْعَمُ أَنَّ لِمَعْبُوْدِهَا جَنْبًا أَخْذاً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الزُّمَرِ: «يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِيْ جَنْبِ اللهِ». وَلَمْ تَجِدْ لَهُ ثَانٍ، وَتَزْعَمُ أَنَّ عَلَىٰ هَٰذَا الجَنْبِ أَيْدِياً كَثِيْرَةً أَخْذاً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ وَالذَّرِيَاتِ: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوْسِعُوْنَ ﴿٤٧﴾».

وَتَزْعَمُ أَيْضاً إِنَّ لِمَعْبُوْدِهَا الْمُشَوَّهِ سَاقاً أَخْذاً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ القَلَمِ: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». وَلَمْ تَجِدْ لَهُ ثَانٍ وَتَزْعَمُ أَيْضاً أَنَّ لَهُ عُضْوًا يُسَمَّىٰ وَجْهًا وَعَلَيْهِ أَعْيُنٌ كَثِيْرَةٌ، فَمَا أَقْبَحَ وَأَشْوَهَ مَنْ هَٰذِهِ صِفَتُهُ. «سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيْمٌ ﴿١٦﴾». وَتَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذَٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً. فَهَٰذِهِ الفِرْقَةُ مِنَ «الَّذِيْنَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُوْنَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُوْنَ صُنْعاً ﴿١٠٤﴾». وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا

فَعَلَتْ وَعَلَيْهِ التُكْلانُ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيْقَةِ الحَالِ.

بَابُ بَعْضِ مَا اخْتَلَقَتْ خَوَارِجُ هٰذا الزَّمَانِ فِيْ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ هٰذِهِ الفِرْقَةَ الإِرْهَابِيَّةَ تَخَطَّتْ خطْوَةً أُخْرَىٰ شَنْعَآءَ تَخْجَلُ مِنْ ذِكْرِهَا النَّفْسُ، وَلا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا لِيَزْدَادَ عِلْماً بِفَسَادِهَا مَنْ جَهِلَ مَا بَلَغَ فَسَادُ خَوَارِجِ هَذَا الزَّمَانِ الإِرْهَابِيَّةِ، هَجَمَتْ هٰذِهِ الفِرْقَةُ عَلَىٰ أَعْلامِ عُلَمَآءِ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَعْيَانِهِمْ هُجُوْمَ الكِلابِ عَلَىٰ أُسُوْدِ الغَابَاتِ فَقَالَ رُؤَسَآؤُهَا الجُهَّالُ السُّفَهَآءُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيْناً فِيْ بَعْضِ مَشَاهَدِهَا وَشَرَائِطِهَا وَمَجَلاَّتِهَا جِهارًا: إِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةَ كَانُوْا فِيْ

ثَلاثِ مَرَاحِلَ، وَأَنْتَ خَبِيْرٌ بِأَنَّ الحُكْمَ عَلَىٰ الأَشَاعِرَةِ حُكْمٌ عَلَىٰ الْمَاتُرِيْدِيَّةِ لأَنَّهُمْ كَالعُضْوِ الوَاحِدِ فِي الإِعْتِقَادِ.

ثُمَّ فَصَلُوا هَٰذَا البُهْتَانَ فَقَالُوْا: كَانُوا جَمِيْعاً فِي الْمَرْحَلَةِ الأُوْلَىٰ أَهْلَ بِدْعَةٍ وَبَاطِلٍ!! وَسَمَّوْا مِنْهُمْ خُصُوْصاً السَّيِّدَ الجَلِيْلَ الحَبْرَ الفَهَّامَ الْمُفَسِّرَ الْمُحَدِّثَ الفَقِيْهَ الأَدِيْبَ السُّنِّيَّ قَامِعَ البِدَعِ وَحَامِلَ لِوَآءِ دِفَاعِ السُّنَّةِ وَشَيْخَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَإِمَامَهُمْ وَرَئِيْسَهُمْ دِيْناً فِي زَمَانِهِ وَمَا بَعْدَهُ عَلَىٰ الإِطْلاقِ الإِمَامَ أَبَا الحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ الأَشْعَرِيَّ مُجَدِّدَ القَرْنِ الثَّالِثِ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُ مِنَ الطَّبَقَةِ الأُوْلَىٰ!!.

وَقَالُوا إِفْتِرَآءً: كَانُوا جَمِيْعاً مُنَافِقِيْنَ فِي الْمَرْحَلَةِ الوُسْطَىٰ وَسَمَّوْا مِنْهُمْ خُصُوْصاً الإِمَامَ الْمُفَسِّرَ الْمُحَدِّثَ الحُجَّةُ الفَقِيْهَ الصُّوْفِيَّ الْمُتَكَلِّمَ الأَدِيْبَ الأُصُوْلِيَّ السُّنِّيَّ الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَآسَةُ العِلْمِ فِيْ زَمَانِهِ وَضُرِبَ إِلَىٰ فِنَائِهِ أَكْبَادُ الإِبِلِ وَعَلِمَ القَرِيْبُ وَالقَاسِيْ وَالحَبِيْبُ وَالعَدُوُّ امْتِيَازَهُ وَفَضْلَهُ حُجَّةَ الإِسْلامِ أَبَا حَامِدٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ

الغَزالِيِّ الشَّافِعِيِّ مُجَدِّدَ القَرْنِ الخَامِسِ وَالإِمَامَ الْمُفَسِّرَ الْمُحَدِّثَ الْمُتَكَلِّمَ الأُصُوْلِيَّ السُّنِّيَّ فَرِيْدَ عَصْرِهِ فِيْ شَتَّىٰ عُلُوْمِ الإِسْلامِ فَخْرَ الدِّيْنِ الرَّازِيَّ الشَّافِعِيَّ مُجَدِّدَ القَرْنِ السَّادِسِ وَمَنْ قَارَبَهُمَا مِنْ أَئِمَّةَ المسْلِمِيْنَ!!

وَقَالُوا إِفْتِرَآءً: كَانُوا الآنَ جَمِيْعاً مُشْرِكِيْنَ!!، وَقَالُوا أَيْضاً بُهْتَاناً وَإِثْمًا مُبِيْنًا: إِنَّ الأَشَاعِرَةَ يَسْتَدِلُّوْنَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِعَقْلٍ أَخَذُوْهُ مِنْ كُفَّارٍ!!

«إِنَا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ». «سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيْمٌ ﴿١٦﴾». كَذَبُوا أَذَلَّهُمُ اللهُ وَأَذَاقَهُمُ اللهُ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَىٰ دُوْنَ العَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَحْزَابِ: «وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوْا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيْناً ﴿٥٨﴾».

وَهَٰذَا الَّذِيْ قَالُوْهُ كَذِبٌ بَحْتٌ ظَاهِرٌ وَخِلافُ الوَاقِعِ قَطْعاً، فَإِنَّ عُلَمَآءَ الأَشَاعِرَةِ لَيْسُوْا أَهْلَ بِدْعَةٍ وَبَاطِلٍ وَلا مُنَافِقِيْنَ وَلا مُشْرِكِيْنَ بَلْ إِنَّمَا هُمُ الْمُسْلِمُوْنَ الخُلَّصُ وَأَئِمَّةُ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّالِثِ عِلْمًا

وَعَقِيْدَةً وَعَمَلاً كَمَا مَرَّ، ثُمَّ لا يَزَالُوْنَ كَذٰلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ. فَإِن لَّمْ يَكُنِ عُلَمَآءُ الأَشَاعِرَةِ مُسْلِمِيْنَ خُلَّصاً فَلَيْسَ للهِ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ مُسْلِمٌ بَتَّاتاً.

فَمَنْ كَفَّرَهُمْ فَهْوَ الكَافِرُ بِحُكْمِ رَسُوْلِ اللهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَقَالَ ﷺ: «إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَآءَ بِهَا أَحَدُهُمَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالبَيْهَقِيُّ. وَقَالَ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيْهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَآءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجعَتْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ حِبَّانَ وَأَحْمَدُ وَالبَيْهَقِيُّ. وَقَالَ ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَأَحْمَدُ. وَقَالَ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلاً مُسْلِماً فَإِنْ كَانَ كَافِرًا، وَإِلَّا كَانَ هْوَ الكَافِرَ». رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُوْدَ. هٰذَا الوَعِيْدُ لِمَنْ كَفَّرَ رَجُلاً وَاحِدًا فَمَا بَالُ مَنْ كَفَّرَ الْمُسْلِمِيْنَ عُمُوْمًا، وَزَادَ عَلَىٰ ذٰلِكَ اسْتِحْلالَ دِمَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعَرَاضِهِمْ لا شَكَّ أَنَّهُ كَافِرٌ وَيُخَلَّدُ فِي النَّارِ إِن لَّمْ يَتُبْ. وَلا شَكَّ أَيْضاً أَنَّهُ لا

يَجْتَرِئُ تَكْفِيْرَ الْمُسْلِمِيْنَ عُمُوْماً وَتَكْفِيْرَ أَئِمَّتِهِمْ خُصُوْصًا مُؤْمِنٌ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَمُوْتُ ثُمَّ يُبْعَثُ غَداً فَيُجَازَىٰ، فَأَنَّىٰ تَطَرَّقَ هَـٰذَا التَّكْفِيْرُ العَآمُّ لِهَـٰذِهِ الفِرْقَةِ الْمُكَفِّرَةِ؟ أَمِنْ قِبَلِ الدَّكَاتِرَةِ الكُفَّارِ الْمَكَّارِيْنَ فَاغْتَرُّوا ثُمَّ انْصَبَغَ التَّكْفِيْرُ عَلَيْهِمْ؟ أَمْ مِّنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ؟. وَاعْلَمْ أَنَّ هَـٰذِهِ الفِرْقَةَ لا تَمْيِيْزَ عِنْدَهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ وَلا بَيْنَ الحَلالِ وَالحَرَامِ وَلا بَيْنَ الحَسَنِ وَالقَبِيْحِ إِلَّا بِالثَّمَنِ فَمَنْ عِنْدَهُ الثَّمَنُ وَوَاسَاهَا بِالعَطِيَّةِ فَهْوَ الْمُحِقُّ وَالْمُتَّبَعُ عِنْدَ هَـٰذِهِ الفِرْقَةِ كَآئِناً مَنْ كَانَ، وَمَنْ لا فَلا.

ثُمَّ إِنَّ الأَشَاعِرَةَ يَسْتَدِلُّوْنَ عَلَىٰ عَقِيْدَتِهِمِ الصَّحِيْحَةِ بِمَا اسَتَدَلَّ بِهِ اللّٰهُ وَرُسُلُهُ عَلَىٰ إِثْبَاتِ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ، كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ وَتَرَىٰ فِيْ هَـٰذَا الكِتَابِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ السَّادَةِ الأَشَاعِرَةِ إِنْ شَآءَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، فَحِيْنَئِذٍ الأَشَاعِرَةُ يَتَأَسَّوْنَ بِاللّٰهِ تَعَالَىٰ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَئِمَّةِ الهُدَىٰ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ الَّذِيْنَ قَبْلَهُمْ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ.

لا يَقْتَدُوْنَ بِفِرَقِ الضَّلالِ مِنَ الجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالشِّيْعَةِ وَالرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ وَالقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَغَيْرِهَا وَلا بِغَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ، بِخِلافِ خَوَارِجِ هَٰذَا الزَّمَانِ الإِرْهَابِيَّةِ الَّتِيْ تَبِيْعُ دِيْنَهَا بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَتَشْتَرِيْ وَتَكْتَفِيْ لَهْوَا لِحَدِيْثِ دِيْناً وَهْوَ شَرِيْطٌ وَمَجَلاَّتٌ لَيْسَ فِيْهِمَا خَيْرٌ بَلْ سَجَّلَهَا وَسَوَّدَهَا دُخَلاءُ هَٰذِهِ الفِرْقَةِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِيْنَ فَتُرَوِّجُهَا بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا تَارَةً وَبِكُتُبِ الأَئِمَّةِ الأَشَاعِرَةِ أُخْرَىٰ وَلا تَهْتَدِيْ بِهَا وَلا تَاخُذُ شَيْئاً مِنَ الحَقِّ الَّذِيْ هُوَ فِيْهَا بَل تُكَفِّرُ مُؤَلِّفِيْهَا.

وَلَيْسَ عِنْدَهَا كِتَابٌ يُسْمَرُ بِهِ الأَطْفَالُ الَّذِيْنَ لَهُمْ أَدْنَىٰ تَنَبُّهٍ فِي الدِّيْنِ فَيَقْتَنِعُوْنَ بِهِ سِوَىٰ كُتُبِ الأَئِمَّةَ الْمُهْتَدِيْنَ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةِ. فَلا تَسْتَغْنِيْ هَٰذِهِ الفِرْقَةُ عَنْ عِلْمِ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةِ وَفَضْلِهِمْ ثُمَّ لا تَسْتَحْيِيْ عَنْ تَكْفِيْرِهِمْ وَتَضْلِيْلِهِمْ فَيَا أَخِيَ الْمُسْلِمَ انْظُرْ وَتَعَجَّبْ كَيْفَ تُكَفِّرُ هَٰذِهِ الفِرْقَةُ الأَئِمَّةَ الهَادِيْنَ الْمُهْتَدِيْنَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ رضي الله عنهم بِالتَّوَسُّلِ كَمَا مَرَّ ثُمَّ تَاخُذُ كُتُبَهُمْ وَتَمْلَؤُهَا فِيْ مَكَاتِبِهَا وَهَٰذَا يَشْهَدُ عَلَىٰ سَفَاهَتِهَا. وَسَتَرَىٰ فِيْ هَٰذَا الكِتَابِ وَغَيْرِهِ إِنْ شَآءَ

اللهُ تَعَالَىٰ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ أَهْلُ السُّنَةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةُ بِالعَقَآئِدِ فَيَظْهَرُ لَكَ كَذِبُ خَوَارِجِ هَٰذَا الزَّمَانِ الإِرْهَابِيَّةِ. جَعَلَهَا اللهُ أَثَراً بَعَدَ عَيْنٍ، ثُمَّ لا أَبْقَاهَا اللهُ أَثَراً. نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ لَنَا وَلأَهْلِ الحَقِّ جَمِيْعاً السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ وَعِلْمُهُ أَكْمَلُ.

بَابُ اخْتِلافِ النَّاسِ فِي الدِّيْنِ وَأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ بِاتِّبَاعِ الْمُهْتَدِيْنَ

وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِخْتِلافَ النَّاسِ فِي الدِّيْنِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُمُ اللهُ فَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الْمَائِدَةِ: «وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ: «فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ هُوْدٍ: «وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُوْنَ مُخْتَلِفِيْنَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الشُّوْرَىٰ: «وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٨﴾». وَأَمَرَنا اللهُ بِإِتِّبَاعِ مَنْ رَحِمَهُمْ وَهَدَاهُمْ فِيْ الهُدَىٰ وَالفَهْمِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ فِيْ سُوْرَةِ لُقْمَانَ: «وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿١٥﴾». وَأَمَرَنَا أَيْضًا بِمُصَاحَبَتِهِمْ قَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ التَّوْبَةِ: «يَٰأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوْا اللهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصَّادِقِيْنَ ﴿١١٩﴾». وَهُمُ الَّذِيْنَ بَلَّغُوْنَا صَحِيْحَ العِلْمِ وَالعَقِيْدَةِ وَالعَمَلِ وَمَيَّزُوا لَنَا صَحِيْحَ العَقِيْدَةِ عَنْ فَاسِدِهَا وَصَحِيْحَ العَمَلِ عَنْ فَاسِدِهِ حِيْنَمَا مَرِجَ كُلُّ شَيْءٍ وَرَبَا الفَاسِدُ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ

فِي الإِعْتِقَادِ وَمَنْ أَخَذُوْا عَنْهُمْ صَحِيْحَ العَقِيْدَةِ وَالعِلْمِ وَالعَمَلِ مِنْ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ.

وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ الحُسْنَىٰ يَتَلَقَّىٰ ذٰلِكَ الإِعْتِقَادَ وَالعِلْمَ وَالعَمَلَ الصِّحَاحَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ عَنْ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ حَمَلَةِ الشَّرْعِ القَوِيْمِ سَلَفاً وَخَلَفاً رضي الله عنهم عَنْ حَبِيْبِ رَبِّ العَالَمِيْنَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ جِبْرِيْلَ عليه السلام عَنْ رَبِّ العِزَّةِ جل جلاله، وَبِذٰلِكَ الفَوْزُ بِالجَنَّةِ وَزِيَادَةٍ.

وَالعَقِيْدَةُ الصَّحِيْحَةُ إِجْمَالاً هِيَ الإِذْعَانُ وَالقَبُوْلُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ رَسُوْلُ رَبِّ العَالَمِيْنَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَبِأَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ. وَهِيَ تَفْصِيْلاً أَوَّلاً تَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ، مَا يَتَعَلَّقُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَيُسَمَّىٰ بِالإِلَهِيَّاتِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمَلائِكَةِ وَالكُتُبِ وَيُسَمَّىٰ بِالنَّبَوِيَّاتِ تَغْلِيْباً وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالآخِرَةِ وَالقَدَرِ وَيُسَمَّىٰ بِالسَّمْعِيَّاتِ وَفِيْ كُلٍّ مِنْ هَـٰذِهِ الأَقْسَامِ تَفَاصِيْلُ أُخَرُ وَلِكُلٍّ مِنْ هَـٰذِهِ الأَقْسَامِ دَلائِلُ عَقْلِيَّةٌ وَنَقْلِيَّةٌ كَمَا سَيَاتِيْ بَعْضُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا

يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ أُصُوْلِ العَقَائِدِ دَلِيْلٌ ظَنِّيٌّ تَأْصِيْلاً، كَأَحَادِيْثِ الآحَادِ وَالقِرَاءَاتِ الشَّآذَّةِ بَلْ يُسْتَدَلُّ الدَّلِيْلُ الظَّنِّيُّ عَلَيْهَا بِطَرِيْقِ التَّبَعِ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ عْلَمُ.

بَابُ الدَّلآئِلِ العَقْلِيَّةِ وَهْيَ الأَدِلَّةُ الكَوْنِيَّةُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ اللهِ

الدَّلِيْلُ العَقْلِيُّ هُوَ الأَصْلُ الأَصِيْلُ الوَحِيْدُ فِيْ فَنِّ التَّوْحِيْدِ، لأَنَّ الْمُلحِدِيْنَ لا يَقْبَلُوْنَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَلا بِقَوْلِ رَسُوْلِهِ ﷺ لكَوْنِهِمْ لا يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَلا رَسُوْلِهِ ﷺ وَلا بُدَّ مِنْ إِفْحَامِهِمْ وَإِزَالَةِ شُبَهِهِمْ. وَالدَّلِيْلُ العَقْلِيُّ هُوَ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِاللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَصِفَاتِهِ بِوُجُوْدِ الْمَخْلُوْقَاتِ إِجْمَالاً أَوْ تَفْصِيْلاً، فَيُقَالُ: العَالَمُ مَوْجُوْدٌ بَعْدَ العَدَمِ لِمُشَاهَدَةِ تَغَيُّرِهِ وَالقَدِيْمُ لا يَتَغَيَّرُ فَحِيْنَئِذٍ لا بُدَّ لَهُ مِنَ مُوْجِدٍ لاسْتِحَالَةِ تَرَجُّحِ مَرْجُوْحٍ بِغَيْرِ مُرَجِّحٍ وَالعَدَمُ الكَائِنُ قَبْلَ وُجُوْدِ العَالَمِ رَاجِحٌ عَلَىٰ وُجُوْدِ العَالَمِ

حِيْنَئِذٍ، وَوُجُوْدُ العَالَمِ الطَّارِئُ مَرْجُوْحٌ قَبْلُ فَلا بُدَّ مِنْ مُرَجِّحٍ وَتَعْيِيْنُ الْمُرَجِّحِ وَتَعيِيْنُ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ يُرْجَعُ لأَصْدَقِ الخَلْقِ وَهُمُ الأَنْبِيَآءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ثُمَّ يُقَالُ لا يَسْتَحِقُّ عِبَادَةَ العَالَمِ إِلَّا صَانِعُهُ الحَكِيْمُ الَّذِيْ لا يَسْتَغْنِيْ عَنْهُ شَيْءٌ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

ثُمَّ الدَّلِيْلُ العَقْلِيُّ هُوَ الَّذِيْ حَآجَّ الأَنْبِيَآءُ الكَفَرَةَ وَأَفْحَمُوْهُمْ وَأَزَالُوْا شُبَهَهُمْ، وَحَآجَّهُمُ اللهُ وَدَمَّغَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ: «بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَىٰ البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُوْنَ». وَلا يَمْنَعُ الدَّلِيْلَ العَقْلِيَّ مَنْ لَّهُ أَدْنَىٰ الْمَامٍ بِكِتَابِ اللهِ الْمُنَزَّلِ عَلَىٰ سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّ كَثِيْراً مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ خُصُوْصاً الْمَكِّيَّ فِيْهِ دَلائِلُ كَوْنِيَّةٌ يَدُلُّ اللهُ بِهَا عَلَىٰ تَوْحِيْدِهِ تَعَالَىٰ وَكَمَالِ صِفَاتِهِ، فَأَذْكُرُ مِنْهَا فِيْ هَٰذَا الكِتَابِ نُبْذَةً يَسِيْرَةً كَغُرْفَةٍ مِنْ بَحْرٍ فَأَقُوْلُ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَلامِ حَآجَّ الكَافِرَ الْمُعَانِدَ نُمْرُوْذَ وَأَصْحَابَهُ بِالدَّلِيْلِ العَقْلِيِّ الكَوْنِيِّ فَأَفْحَمَهُمْ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ إِذْ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيْ سُوْرَةِ

البَقَرَةِ: «أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيِي وَيُمِيْتُ قَالَ أَنَا أُحْيِيْ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِيْ كَفَرَ». وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُ ﷺ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ: «قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيْرُهُمْ هَـٰذَا فَاسْئَلُوْهُمْ إِنْ كَانُوْا يَنْطِقُوْنَ». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ: «قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُ ﷺ فِيْ سُوْرَةِ الشُّعَرَاءِ: «قَالَ هَلْ يَسْمَعُوْنَكُمْ إِذ تَّدْعُوْنَ ﴿٧٢﴾». الآيَاتِ. وَحَاجَّ سَيِّدُنَا مُوْسَىٰ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ الكَافِرَ العَاتِيَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ إِذْ قَالَ تَعَالَىٰ عَنْهُ ﷺ فِيْ سُوْرَةِ الشُّعَرَاءِ: «قَالَ رَبُّ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا». الآيَاتِ. وَحَاجَّ اللهُ الْمُلْحِدِيْنَ الكَفَرَةَ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ صَنَعَ وَحْدَهُ الكَوْنَ وَدَبَّرَهُ فَيَسْتَحِقُّ وَحْدَهُ عِبَادَةَ الكَوْنِ، وَدَلَّ عِبَادَهُ عَلَىٰ وُجُوْدِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَجَمِيْعِ صِفَاتِهِ الكَمَالِيَّةِ بِالعَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ فَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾». وَقَالَ جَلَّ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ ﴿١٩٠﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَعْرَافِ: «أَوَلَمْ يَنْظُرُوْا فِيْ مَلَكُوْتِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ». وَقَالَ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ فِيْ سُوْرَةِ يُوْنُسَ: «إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُوْنَ ﴿٦﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الإِسْرَاءِ: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ قادِرٌ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَىٰ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً ﴿٩٩﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النُّوْرِ: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِيْ سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً». الآيَاتِ. وَقَالَ جَلَّ وَعَلا فِيْ سُوْرَةِ الشُّعَرَاءِ: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النَّمْلِ: «قُلِ الحَمْدُ للهِ وَسَلامٌ

عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِيْنَ اصْطَفَىٰ ءَآللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُوْنَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ». الآيَاتِ السِّتَّ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ القَصَصِ: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيْكُمْ بِضِيَآءٍ أَفَلا تَسْمَعُوْنَ ﴿٧١﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ مَجْدُهُ فِيْ سُوْرَةِ الرُّوْمِ: «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيْ أَنْفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمىً وَإِنَّ كَثِيْراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُوْنَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيْرُوْا فِي الأَرْضِ». الآيَاتِ. وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ فِيْ سُوْرَةِ الرُّوْمِ: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَابٍ». الآيَاتِ السِّتَّ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ لُقْمَانَ: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً». وَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ لُقْمَانَ: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُوْلِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمىً وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ يس: «وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَباً فَمِنْهُ يَاكُلُوْنَ ﴿٣٣﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ جَلَّ شَانُهُ فِيْ

سُوْرَةِ يس: «وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُوْنَ ﴿٣٧﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ جَلَّ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ يس: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيْنَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُوْنَ ﴿٧١﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ جَلَّ وَعَلا فِيْ سُوْرَةِ فُصِّلَتْ: «وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ». الآيَةَ. وَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ فُصِّلَتْ: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَىٰ الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ». الآيَةَ. وَقَالَ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الشُّوْرَىٰ: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيْهِمَا مِنْ دَابَّةٍ». الآيَةَ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الجَاثِيَةِ: «إِنَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٣﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الجَاثِيَةِ: «اللهُ الَّذِيْ سَخَّرَ لَكُمُ البَحْرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ فِيْهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ﴿١٢﴾». الآيَتَيْنِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَحْقَافِ: «قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَرُوْنِيْ مَا ذَا خَلَقُوْا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَاتِ ائْتُوْنِيْ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴿٤﴾». وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَحْقَاقِ: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ

الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٣٣﴾». وَقَالَ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ ق: «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوْجٍ ﴿٦﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ وَالذَّارِيَاتِ: «وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوْقِنِيْنَ ﴿٢٠﴾ وَفِيْ أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُوْنَ ﴿٢١﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ وَالذَّارِيَاتِ: «وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوْسِعُوْنَ ﴿٤٧﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ فِيْ سُوْرَةِ وَالطُّوْرِ: «أَمْ خُلِقُوْا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُوْنَ ﴿٣٥﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الوَاقِعَةِ: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُوْنَ ﴿٥٧﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الْمُلْكِ: «الَّذِيْ خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَىٰ فِيْ خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُوْرٍ ﴿٣﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ نُوْحٍ: «أَلَمْ تَرَوا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقاً ﴿١٥﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ وَالْمُرْسَلاتِ: «أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ

مِّن مَّآءٍ مَهِيْنٍ ﴿٢٠﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ النَّبَإِ: «أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً ﴿٦﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِيْ سُوْرَةِ وَالنَّازِعَاتِ: «أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ عَبَسَ: «قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾». الآيَاتِ. وَقَالَ جَلَّ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الغَاشِيَةِ: «أَفَلا يَنْظُرُوْنَ إِلَىٰ الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾». الآيَاتِ. وَغَيْرُ ذَٰلِكَ مِنَ الآيَاتِ الدَّآلَّةِ عَلَىٰ الأَدِلَّةِ الكَوْنِيَّةِ كَثِيْرٌ فِيْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ. فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ اسْتَدَلَّ الكَفَرَةَ بِدَلائِلَ كَوْنِيَّةٍ دَآلَّةٍ عَلَىٰ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَكَمَالِ صِفَاتِهِ وَتَبِعَتْهُ رُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَاعْلَمْ أَنَّ عُلَمَاءَ الأَشَاعِرَةِ والْمَاتُرِيْدِيَّةِ سَلَكُوْا عَلَىٰ الطَّرِيْقَةِ الَّتِيْ سَبَّكَهَا اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَأَخَذَتْهَا رُسُلُهُ. فَمَنْ عَيَّرَ عُلَمَاءَ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةِ بِاتِّبَاعِ طَرِيْقَةِ اللهِ وَرُسُلِهِ فَتَعْيِيْرُهُ مُنْحَطٌّ عَلَىٰ اللهِ لَيْسَ إِلاَّ. وَاللهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْمُجَازِيْ وَكَفَىٰ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي سورةِ يُوْنُسَ: «فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا

بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾». نَسْأَلُ اللهَ السَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيْ كِتَابِهِ مِنْ دَلائِلِ التَّوْحِيْدِ.

بَابُ الحُكْمِ العَقْلِيِّ

إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الدَّلِيْلَ العَقْلِيَّ لا بُدَّ مِنْهُ فِيْ إِفْحَامِ الْمُلْحِدِيْنَ فَاعْلَمْ أَنَّ إِفَادَتَهُ تَتَعَلَّقُ عَلَىٰ العِلْمِ بِالحُكْمِ العَقْلِيِّ، وَهُوَ إِثْبَاتُ أَمْرٍ لأَمْرٍ أَوْ نَفْيُهُ عَنْهُ دُوْنَ تَوَقُّفٍ عَلَىٰ تَكْرَارٍ أَوْ وُجُوْدِ شَرْطٍ وَانْتِفَاءِ مَانِعٍ وَهْوَ لا يَخْرُجُ عَنْ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ، وَهْيَ الوَاجِبُ وَالْمُسْتَحِيْلُ وَالجَائِزُ.

فَالواجِبُ هُوَ مَا لا يَقْبَلُ الإِنْتِفَاءَ فِيْ ذَاتِهِ وَيَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ وَاجِبٍ مُطْلَقٍ وَهْوَ ذَاتُ اللهِ تَعَالَىٰ وَصِفَاتُهُ، وَوَاجِبٍ مُقَيَّدٍ كَتَحَيُّزِ الجِرْمِ حَالَ وُجُوْدِهِ، وَوَاجِبٍ عَرَضِيٍّ كَوُجُوْدِ شَيْءٍ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ فِيْ زَمَنٍ عَلِمَ اللهُ وُجُوْدَهُ فِيْهِ قَبْلَ وُجُوْدِهِ فِعْلاً.

وَالْمُسْتَحِيْلُ هُوَ مَا لا يَقْبَلُ الثُّبُوْتَ فِيْ ذَاتِهِ وَيَنْقَسِمُ إِلَىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ أَيْضاً مُسْتَحِيْلٍ مُطْلَقٍ كَشَرِيْكٍ للهِ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً، وَمُسْتَحِيْلٍ مُقَيَّدٍ كَعَدَمِ تَحَيُّزِ الجِرْمِ حَالَ وُجُوْدِهِ، وَمُسْتَحِيْلٍ عَرَضِيٍّ كَعَدَمِ وُجُوْدِ شَيْئٍ فِيْ زَمَنٍ عَلِمَ اللهُ وُجُوْدَهُ فِيْهِ، وَالجَائِزُ هُوَ مَا يَقْبَلُ الثُّبُوْتَ تَارَةً وَالإِنْتِفَآءَ أُخْرَىٰ، كَحَرَكَةِ الجِرْمِ أَوْ سُكُوْنِهِ.

فَإِذَا عَلِمْتَ الأَحْكَامَ العَقْلِيَّةَ فَأَعْرِضْ عَلَيْهَا كُلَّ شَيْئٍ تَسْتَفِدْ وَتُفِدْ. وَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ شَرْعاً أَنْ يَعْرِفَ تفصيلا مَا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ تفصيلا، وَإِجْمَالاً مَا يَجِبُ مَعْرِفَتُهُ إِجْمَالاً مِمَا يَجِبُ للهِ تَعَالَىٰ وَمَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ مِنَ النَّقَآئِصِ وَمَا يَجُوْزُ لَهُ. وَمِمَّا يَجِبُ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ كَمَالاتِهِمْ وَمَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُمْ مِنَ النَّقَآئِصِ وَمَا يَجُوْزُ لَهُمْ، وَمَا يَتْبَعُ ذٰلِكَ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ وَالسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ.

بَابُ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي اللهِ إِجْمَالاً

قَالَ أَهْلُ الحَقِّ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ فِي الإِعْتِقَادِ الحَقِّ وَمَنْ أَخَذُوْا عَنْهُمُ الحَقَّ مِنْ سَلَفِهِمِ الصَّالِحِ: نَعْلَمُ عِلْماً يَقِيْنِيًّا وَنَعْتَقِدُ بِقُلُوْبِنَا جَزْماً وَنُبَيِّنُ لِغَيْرِنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ثَبَتَ لَهُ إِجْمَالاً كُلُّ كَمَالٍ يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ. وَأَنَّ كَمَالاتِهِ تَعَالَىٰ ثَنَآئُهُ لَيْسَتْ مُتَنَاهِيَّةً، وَلا يَعْلَمُ جَمِيْعَهَا إِلَّا هُوَ، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ كُلُّ نَقْصٍ. وَقَدْ كَلَّفَنَا اللهُ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ بِمَعْرِفَةِ بَعْضِ هَٰذِهِ الكَمَالاتِ وَاعْتِقَادِهَا تَفْصِيْلاً لِقِيَامِ الدَّلِيْلِ عَلَيْهِ كَذٰلِكَ، فَنُثْبِتُ للهِ تَعَالَىٰ مَا أَثْبَتَهُ لِذَاتِهِ الكَرِيْمِ فِيْ كِتَابِهِ الكَرِيْمِ، أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُوْلُهُ ﷺ فِيْ سُنَّةٍ صَحِيْحَةٍ عَلَىٰ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُوْلُهُ ﷺ مَعَ التَّنْزِيْهِ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِيْ لا يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ.

وَلَكِنْ فِيْ ذَٰلِكَ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَالْمُحْكَمُ مِمَّا أَثْبَتَهُ اللهُ لِذَاتِهِ أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُوْلُهُ فِيْ سُنَّةٍ صَحِيْحَةٍ هُوَ مَرْكَزُ عَقِيْدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَالْمُتَشَابِهُ فِيْهِ طَرِيْقَانِ لأَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ سَلَفاً وَخَلَفاً، الأَوَّلُ وَهْوَ الأَسْلَمُ هُوَ: تَفْوِيْضُ الْمَعْنَىٰ الْمُرَادِ مِنَ اللَّفْظِ الْمُتَشَابِهِ إِلَىٰ اللهِ العَلِيْمِ بِكُلِّ شَيْءٍ مَعَ تَنْزِيْهِ اللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ عَنِ الْمَعْنَىٰ الْمُتَبَادِرِ الْمُوْهِمِ تَشْبِيْهَ اللهِ بِخَلْقِهِ، وَهَٰذَا التَّنْزِيْهُ هُوَ التَّاوِيْلُ الإِجْمَالِيُّ الَّذِيْ اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الحَقِّ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ سَلَفاً وَخَلَفاً، قَالَ الإمامُ أبو محمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ وَهْبِ بْنِ مُسْلِمٍ الفقيهُ المفسِّرُ المحدِّثُ المقرئُ المالكيُّ المصريُّ القرشيُّ بالولاءِ الْمَعْرُوْفُ بِابْنِ وَهْبٍ تِلْمِيْذُ إِمَامِ دَارِ الهِجْرَةِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: مَنْ قَرَأَ «يَدُ اللهِ» وَأَشَارَ إِلَىٰ يَدِهِ، وَقَرَأَ «عَيْنَ اللهِ» وَأَشَارَ إِلَىٰ ذَٰلِكَ العُضْوِ مِنْهُ يُقْطَعُ تَغْلِيظًا عَلَيْهِ فِي تَقْدِيسِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا أَشْبَهَ إِلَيْهِ وَمَنْ شَبَّهَهُ بِنَفْسِهِ فَتُعْدَمُ نَفْسُهُ وَجَارِحَتُهُ الَّتِي شَبَّهَهَا بِاَللهِ وَقال ابن وهب: هَٰذِهِ غَايَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا مَالِكاً مُوَحِّدٌ. قَالَ الإِمَامُ الحَافِظُ الْمُفَسِّرُ

الْمُؤَرِّخُ إِسْمَاعِيْلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ ضَوْءِ بْنِ كَثِيْرٍ الْمَعْرُوْفُ بِابْنِ كَثِيْرٍ ﷺ مَعَ كَوْنِهِ مِنَ أَئِمَّةِ الْمَتَأَخِّرِيْنَ فِيْ تَفْسِيْرِهِ عِنْدَ تَفْسِيْرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ»: فَلِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا الْمَقَامِ مَقَالاتٌ كَثِيْرَةٌ جِدًّا لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعُ بَسْطِهَا وَإِنَّمَا نَسْلُكُ فِيْ هٰذَا الْمَقَامِ مَذْهَبَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مَالِكٍ وَالأَوْزَاعِيِّ وَالثَّوْرِيِّ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ قَدِيْمًا وَحَدِيْثًا رِضْوَانُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ الدَّائِمَةُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيْفٍ وَلا تَشْبِيْهٍ وَلا تَعْطِيْلٍ.

وَالظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ إِلَىٰ أَذْهَانِ الْمُشَبِّهِيْنَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ وَ«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ». بَلِ الأَمْرُ كَمَا قَالَ الأَئِمَّةُ مِنْهُمْ: نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الخُزَاعِيُّ شَيْخُ البُخَارِيِّ: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ فِيْمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلا رَسُوْلُهُ تَشْبِيْهٌ».

فَمَنَ أَثْبَتَ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا وَرَدَتْ بِهِ الآيَاتُ الصَّرِيْحَةُ وَالأَخْبَارُ الصَّحِيْحَةُ عَلَىٰ الوَجْهِ الَّذِيْ يَلِيْقُ بِجَلالِ اللهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ وَنَفَىٰ عَنِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ النَّقَائِصَ فَقَدْ سَلَكَ سَبِيْلَ الهُدَىٰ.

وَالطَّرِيْقُ الثَّانِيْ وَهْوَ الأَعْلَمُ هُوَ: تَعْيِيْنُ مَعْنًىٰ يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ مِنْ مَعَانِي اللَّفْظِ الوَارِدِ وَتَنْزِيْهُ اللهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ عَنِ الْمَعْنَىٰ الْمُوْهِمِ التَّشْبِيْهَ وَهَٰذَا الطَّرِيْقُ الثَّانِيْ سَلَكَهُ العُلَمَاءُ سَلَفًا وَخَلَفًا لِضَرُوْرَةٍ الجَأَتْهُمْ إِلَيْهِ وهي أَنَّ البِدْعَةَ الْمُجَسِّمَةَ الْمُشَبِّهَةَ وَالْمَدْسُوْسِيْنَ فِي الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ غَيْرِهِمْ تَدَخَّلُوْا فِي الْمُتَشَابِهِ فَوَصَفُوا اللهَ تَعَالَىٰ بِمَا لا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الأَعْضَاءِ الحَقِيْقِيَّةِ وَالتَّحَيُّزِ وَالجِهَةِ وَالتَّجْسِيْمِ وَالتَّشْبِيْهِ وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا اللهُ بَرِيْءٌ مِنْهُ، فَاحْتَاجَ هَٰؤُلاءِ العُلَمَاءُ الرَّاسِخُوْنَ فِي العِلْمِ الحَارِسُوْنَ عَلَىٰ عَقِيْدَةِ الْمُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ تَعْيِيْنِ مَعَانٍ تَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنْ مَعَانِي الْمُتَشَابِهِ دَفْعًا لِهَٰؤُلاءِ الْمُجَسِّمَةِ وَالْمُشَبِّهَةِ وَالْمَدْسُوْسِيْنَ فِيْهِمْ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعَقِيْدَةِ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَهٰذَانِ الطَّرِيْقَانِ لَيْسَ أَحَدُهُمَا لِلسَّلَفِ وَالأَخَرُ لِلْخَلَفِ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ بَلْ الأَوَّلُ مَنْقُوْلٌ عَنْ بَعْضِ الخَلَفِ كَمَا اخْتَارَهُ الإِمَامُ ابْنُ كَثِيْرٍ ﷺ فِيْمَا مَرَّ آنِفاً. وَالثَّانِيْ مَنْقُوْلٌ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ كَابْنِ عَبَّاسٍ وَالحَسَنِ البِصْرِيِّ وَسَعِيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ وَأَبِيْ عُبَيْدَةَ وَأَبِيْ حَنِيْفَةَ وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيِّ وَغَيْرِهِمْ ﷺ. قَالَ الإِمَامُ ابْنُ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيُّ فِيْ تَفْسِيْرِهِ عِنْدَ تَفْسِيْرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»: قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ مِنْ أَهْلِ التَّاوِيْلِ: يَبْدُوْ عَنْ أَمْرٍ شَدِيْدٍ.

وَبَعْدَ أَنْ عَرَفْتَ وَاعْتَقَدتَّ أَنَّ للهِ تَعَالَىٰ إِجْمَالاً كُلَّ كَمَالٍ يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ فَاعْلَمْ وَاعْتَقِدْ أَنَّ مِمَّا يَجِبُ للهِ تَعَالَىٰ عَقْلاً وَشَرْعًا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ صِفَةً مِنْ أُصُوْلِ صِفَاتِ اللهِ وَهْيَ الَّتِيْ دَلَّ عَلَيْهَا الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الصَّحِيْحَةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ عَلَىٰ التَّحْقِيْقِ. وَهٰذِهِ الِاثْنَتَا عَشَرَ صِفَةً قِسْمَانِ سَلْبِيَّاتٌ وَإِيْجَابِيَّاتٌ، وَمَا سِوَىٰ هٰذِهِ الِاثْنَتَيْ عَشَرَةَ صِفَةً

مِمَّا أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِذَاتِهِ فِيْ كِتَابِهِ العَزِيْزِ أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُوْلُهُ ﷺ فِيْ سُنَّةٍ صَحِيْحَةٍ فَهْوَ إِمَّا مُحكَمٌ أَوْ مُتَشَابِهٌ فَالْمُحْكَمُ رَاجِعٌ إِلَىٰ هَٰذِهِ الِاثْنَتَيْ عَشَرَةَ صِفَةً البَتَّةَ، وَإِنْ وَجَبَ عِلْمُهُ وَاعْتِقَادُهُ. وَالْمُتَشَابِهُ فِيْهِ الطَّرِيْقَانِ السَّابِقَانِ، فَبَعْدَ اعْتِقَادِ ثُبُوْتِهِ للهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ إِمَّا مُفَوَّضٌ عِلْمُهُ إِلَىٰ اللهِ العَلِيْمِ بِكُلِّ سَيْءٍ تَعَالَىٰ مَعَ تَنْزِيْهِ اللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ عَنِ الظَّوَاهِرِ الْمُتَبَادِرِةِ إِلَىٰ أَذْهَانِ الْمُشَبِّهِيْنَ وَهْوَ طَرِيْقُ أَكْثَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. وَإِمَّا رَاجِعٌ إِلَىٰ هَذِهِ الِاثْنَتَيْ عَشَرَةَ صِفَةً البَتَّةَ إِنْ عُيِّنَ الْمَعْنَىٰ اللاَّئِقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَالَّذِيْ ذَكَرْتُهُ مِنْ أَنَّ أُصُوْلَ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الْمَذْكُوْرَةَ فِي القُرْءَانِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيْحَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ صِفَةً مَبْنِيٌّ عَلَىٰ القَوْلِ بِأَنَّ الأَشْيَاءَ ثَلاثَةٌ مَوْجُوْدٌ وَمَعْدُوْمٌ وَأَمْرٌ إِعْتِبَارِيٌّ وَهَٰذَا القَوْلُ هُوَ الرَّاجِحُ.

وَأَمَّا عَلَىٰ القَوْلِ بِأَنَّ الأَشْيَآءَ أَرْبَعَةٌ بِزِيَادَةِ الحَالِ فَعِشْرُوْنَ أَوِاثْنَتَانِ وَعِشْرُوْنَ. قَالَ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: وَالحَقُّ أَن لا حَالَ وَأَنَّ الحَالَ عَلَيْهِ مُحَالٌ. وَلا خِلافَ بَيْنَ أَهْلِ الحَقِّ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَوْجُوْدٌ

وَمُكَوِّنٌ وَقَادِرٌ وَمُرِيْدٌ وَعَلِيْمٌ وَحَيٌّ وَسَمِيْعٌ وَبَصِيْرٌ وَمُتَكَلِّمٌ كَبَقِيَّةِ أَسْمَآءِ اللهِ الحُسْنَىٰ، وَأَنَّ العِلْمَ بِهَا وَالإِعْتِقَادَ بِهَا وَاجِبٌ. وَإِنَّمَا الخِلافُ هَلْ هِيَ صِفَاتٌ مُسْتَقِلَّةٌ أَوْ لازِمَةٌ لِهَٰذِهِ الاِثْنَتَىٰ عَشَرَةَ، وَالحَقُّ أَنَّهَا لازِمَةٌ لَهَا كَمَا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْ هَٰذَا الكِتَابِ وَاللهُ تَعَالَىٰ يَهْدِيْ مَنْ يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ، وَمَا الفَهْمُ الصَّحِيْحُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيْزِ الحَكِيْمِ. وَلا تَنْسَ أَنَّنَا نَعْتَقِدُ مَعَاشِرَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَمَالاً غَيْرَ مُنْحَصِرٍ لَنَا وَلا نَعُدُّ جَمِيْعَ صِفَاتِ اللهِ الكَمَالِيَّةِ بِعَدَدٍ، بَلْ الْمَعْدُوْدُ فِيْ هَٰذَا الكِتَابِ هُوَ أُصُوْلُ مَا وَرَدَ فِيْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ الصَّحِيْحَةِ. نَسْأَلُ اللهَ تعالىٰ السَّلامَةَ وَالسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ.

بَابُ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّاتِ

اعْلَمْ أَنَّ أُصُوْلَ صِفَاتِ اللهِ السَّلْبِيَّاتِ الوَرِدَةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ أَوِ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيْحَةِ خَمْسَةٌ، الأَوَّلُ: مِنَ هٰذِهِ الصِّفَاتِ قِدَمُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهْوَ تَقَدُّمُهُ تَعَالَىٰ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ ابْتِدَاءٍ.

وَالثَّانِيْ: بَقَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَهْوَ تَأَخُّرُهُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ انْتِهَاءٍ.

وَالثَّالِثُ: مُخَالَفَةُ اللهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ لِلْحَوَادِثِ، وَيُعْلَمُ مِنْ مُخَالَفَةِ اللهِ نَفْيُ الجِرْمِيَّةِ وَنَفْيُ العَرَضِيَّةِ وَنَفْيُ الجِهَةِ لِجِرْمٍ مَا وَنَفْيُ جِهَةِ الجِرْمِ لهُ تَعَالَىٰ وَنَفْيُ التَّقَيَّدِ بِمَكَانٍ وَنَفْيُ التَّقَيَّدِ بِزَمَانٍ وَنَفْيُ الإِتِّصافِ بِالْمَعَانِي الحَادِثَةِ كَالعِلْمِ وَالقُدْرَةِ الحَادِثَيْنِ وَنَفْيُ الإِتِّصَافِ بِكَثْرَةِ الأَجْزَآءِ وَنَفْيُ الإِتِّصَافِ بِقِلَّةِ الأَجْزَآءِ وَنَفْيُ الإِتِّصَافِ بِالأَغْرَاضِ فِي الأَفْعَالِ وَالأَحْكَامِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ.

وَالرَّابِعُ: غِنَاهُ تَعَالَىٰ عَنْ كُلِّ شَيْئٍ سِوَاهُ وَيُعَبَّرُ عَنْ هٰذَا الغِنَىٰ قِيَامُهُ تَعَالَىٰ بِذَاتِهِ أَيْ عَدَمُ افْتِقَارِهِ إِلَىٰ ذَاتٍ يَقُوْمُ بِهَا أَوْ إِلَىٰ مُخَصِّصٍ يُوْجِدُهُ أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ النَّقَائِصَ.

وَالخَامِسُ: وَحْدَانِيَّتُهُ تَعَالَىٰ أَيْ لا ثَانِيَ لَهُ فِيْ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ وَلا فِيْ صِفَاتِهِ وَلا فِيْ أَفْعَالِهِ اتِّصَالاً وَانْفِصَالاً أَيْ لَيْسَ ذَاتُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُرَكَّباً وَلا مُتَعَدِّداً وَلَيْسَتْ صِفَاتُهُ جَلَّ شَانُهُ مُتَعَدِّدَةً مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فَتَكُوْنُ مُرَكَّبَةً وَلا يُوْجَدُ صِفَاتٌ كَصِفَاتِهِ تَعَالَىٰ فَتَكُوْنُ مُتَعَدِّدَةً وَلَيْسَ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فِعْلٌ انْفَرَدَ بِهِ الغَيْرُ عَنْهُ عَزَّ ذِكْرُهُ أَوْ شَارَكَ الغَيْرُ فِيْهِ لَهُ جَلَّ وَعَلا. وَهٰذِهِ الصِّفَاتُ الخَمْسَةُ تُسَمَّىٰ سَلْبِيَّةً لِكَوْنِ الْمَقْصُوْدِ مِنْهَا سَلْبَ نَقَائِصَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَهِيَ أَضْدَادُ هٰذِهِ الصِّفَاتِ وَسَيَاتِيْ تَفْصِيْلُهَا وَإِنْ كَانَتْ هٰذِهِ الصِّفَاتُ دَالَّةً عَلَىٰ كَمَالِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَقَدَّمَ العُلَمَاءُ فِيْ كُتُبِهِمْ بِالذِّكْرِ صِفَاتِ السُّلُوْبِ إِقْتِدَآءً بِاللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُوْلِهِ ﷺ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ فِيْ سُوْرَةِ الشُّوْرَىٰ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْئٌ

وَهْوَ السَمِيْعُ البَصِيْرُ ﴿١١﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الحَشْرِ: «هُوَ اللهُ الَّذِيْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ». وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ لا تَدْعُوْنَ أَصَمَّ وَلا غَآئِباً إِنَّمَا تَدْعُوْنَ سَمِيْعاً بَصِيْراً». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَأَبُوْ دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ وَالبَغْوِيُّ وَأَحْمَدُ.

وَلأَنَّهَا مِنْ بَابِ التَّخْلِيَّةِ، وَالتَّخْلِيَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلَىٰ التَّحْلِيَةِ طَبْعًا فَقُدِّمَتْ وَضْعًا وَلَيْسَ مَعْنَىٰ ذٰلِكَ التَّقْدِيْمِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ اتَّصَفَ أَوَّلاً بِصِفَاتٍ قَبْلَ غَيْرِهَا. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيْقَةِ الحَالِ.

بَابُ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أُصُوْلَ صِفَاتِ اللهِ الإِيْجَابِيَّاتِ الوَارِدَةِ فِي القُرْآنِ العَزِيْزِ أَوْ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيْحَةِ سَبْعَةٌ، وَهْيَ البَاقِيَةُ مِنَ الاِثْنَتَيْ عَشَرَةَ صِفَةً

وَتُسَمَّىٰ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ، لِكَوْنِ الْمَقْصُوْدِ مِنْهَا إِثْبَاتَ مَعَانٍ زَوَائِدَ عَلَىٰ الذَّاتِ قَائِمَةٍ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ دَالَّةً عَلَىٰ سَلْبِ نَقَائِصَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ.

الأَوَّلُ مِنْ أُصُوْلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الإِيْجَابِيَّاتِ: قُدْرَةُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهِيَ صِفَةٌ وُجُوْدِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَىٰ. الثَّانِي مِنْ أُصُوْلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: إِرَدَاتُهُ تَعَالَىٰ وَهِيَ صِفَةٌ وُجُوْدِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ وَهُمَا مُتَعَلِّقَانِ بِجَمِيْعِ الْمُمْكِنَاتِ أَيْ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُخَصِّصُ بِإِرَادَتِهِ الْمُمْكِنَ عَلَىٰ بَعْضِ مَا يَجُوْزُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ الْمُتَقَابِلَةِ وَهِيَ الْمَقَادِيْرُ وَالأَزْمِنَةُ وَالأَمْكِنَةُ وَالجِهَاتُ وَالصِّفَاتُ وَالوُجُوْدُ وَضِدُّهُ فَإِرَادَتُهُ تَعَالَىٰ صِفَةُ تَخْصِيْصٍ، وَيُؤَثِّرُ اللهُ تَعَالَىٰ بِقُدْرَتِهِ الْمُمْكِنَ الْمُخَصَّصَ عَلَىٰ مَا خَصَّصَ بِإِرَادَتِهِ مِنَ الإِيْجَادِ أَوِ الإِعْدَامِ أَوِ الإِرْزَاقِ أَوِ الإِحْرَامِ أَوِ الإِعْزَازِ أَوِ الإِذْلالِ أَوْ غَيْرِ ذٰلِكَ، فَقُدْرَتُهُ تَعَالَىٰ صِفَةُ تَاثِيْرٍ.

الثَّالِثُ مِنْ أُصُوْلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: عِلْمُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ، وَهُوَ صِفَةٌ وُجُوْدِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَىٰ تَتَعَلَّقُ بِجَمِيْعِ أَقْسَامِ حُكْمِ العَقْلِ عَلَىٰ وَجْهِ الإِحَاطَةِ تَعَلُّقَ ظُهُوْرٍ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ خَفَآءٍ، أَيْ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ يَعْلَمُ عِلْماً لا يَحْتَمِلُ النَّقِيْضَ ذَاتَهُ وَمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّةِ وَمَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ مِنَ النَّقَائِصِ وَمَا يَجُوْزُ لَهُ وَالعَالَمَ كُلَّهُ عُلْوِيَّهُ وَسُفْلِيَّهُ كُلِّيَّهُ وَجُزْئِيَّهُ مَا كَانَ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ وَمَا يَكُوْنُ عَلَىٰ مَا يَكُوْنُ عَلَيْهِ وَمَا لا يَكُوْنُ.

الرَّابِعُ مِنْ أُصُوْلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: حَيَاتُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَهِيَ صِفَةٌ وُجُوْدِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَىٰ تُصَحِّحُ لِمَنْ قَامَتْ بِهِ أَنْ يَتَّصِفَ بَصِفَاتِ الكَمَالِ أَيْ تَدُلُّ صِحَّةَ اتِّصَافِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ وَلا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ.

الخَامِسُ مِنْ أُصُوْلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: سَمْعُهُ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ وَهُوَ صِفَةٌ وُجُوْدِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَىٰ تَتَعَلَّقُ بِجَمِيْعِ الْمَوْجُوْدَاتِ خَفِيَّةً

كَانَتْ أَوْ ظَاهِرَةً، أَيْ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شَانُهُ يَسْمَعُ جَمِيْعَ الْمَوْجُوْدَاتِ بِسَمْعِهِ سَوَآءٌ كَانَتْ أَصْوَاتاً أَوْ ذَوَاتاً أَوْ الوَاناً عَلَىٰ الصَّحِيْحِ، وَلَيْسَ سَمْعُهُ تَعَالَىٰ مَجْدُهُ فِيْ أُذُنٍ وَلا صِمَاخٍ إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مَعَ أَنَّهُ سَمِيْعٌ.

السَّادِسُ مِنْ أُصُوْلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: بَصَرُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ، وَهُوَ صِفَةٌ وُجُوْدِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ جَلَّ وَعَلا، أَيْ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَبْصُرُ بِبَصَرِهِ جَمِيْعَ الْمَوْجُوْدَاتِ سَوَآءٌ كَانَتْ أَصْوَاتاً أَوْ الوَاناً أَوْ ذَوَاتاً بِلا خِلافٍ بَيْنَ الأَئِمَّةِ، وَلَيْسَ بَصَرُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ حَدَقَةٍ وَلا فِيْ أَجْفَانٍ إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مَعَ أَنَّهُ بَصِيْرٌ.

السَّابِعُ مِنْ أُصُوْلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: كَلامُهُ جَلَّ وَعَلا وَهُوَ صِفَةٌ وُجُوْدِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُنَزَّهَةٌ عَنِ السُّكُوْتِ والآفَةِ والحُرُوْفِ وَالأَصْوَاتِ وَالتَّقْدِيْمِ وَالتَّاخِيْرِ وَاللَّحْنِ وَالإِعْرَابِ والبِنَآءِ وَسَآئِرِ

صِفَاتِ كَلامِ الحَوَادِثِ لأَنَّ هٰذِهِ حَوَادِثُ، وَاللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ لَمْ يَكُنْ وَلا يَكُوْنُ مَحَلاًّ لِلحَوَادِثِ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذَلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً.

وَكَلامُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَتَعَلَّقُ بِجَمِيْعِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ العِلْمُ تَعَلُّقَ دَلالَةٍ أَيْ إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ شَانُهُ دَلَّ بِكَلامِهِ ذَاتَهُ تَعَالَىٰ وَكَمَالاتِهِ وَمَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ وَمَا يَجُوْزُ لَهُ وَالكَوْنَيْنِ وَمَا فِيْهِمَا. وَلا تَنْسَ أَنَّنَا نَعْتَقِدُ أَنَّ للهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ كُلَّ كَمَالٍ يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ وَأَنَّ كَمَالاتِهِ تَعَالَىٰ غَيْرُ مُنْحَصِرَةٍ لَنَا.

أَمَّا مَسْأَلَةُ القُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ اللهِ تَعَالَىٰ فَدُوْنَكَ تَفَاصِيْلَهَا، وَاعْلَمْ أَوَّلاً أَنَّ جَمِيْعَ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ قَدِيْمَةٌ اتِّفَاقاً. وَثَانِياً أَنَّ القُرْآنَ وَغَيْرَهُ مِنَ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ كَلامُ اللهِ عَلَىٰ الحَقِيْقَةِ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ. وَثَالِثاً أَنَّ كَلامَ اللهِ يُطْلَقُ عِنْدَهُمْ كَثِيْراً عَلَىٰ صِفَتِهِ تَعَالَىٰ القَدِيْمَةِ عَلَىٰ الحَقِيْقَةِ، وَقَلِيْلاً عَلَىٰ الفَاظِ القُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنَ كُتُبِ اللهِ السَّمَاوِيَّةِ عَلَىٰ الحَقِيْقَةِ. وَرَابِعاً أَنَّ الإِضَافَةَ عِنْدَهُمْ بِالإِطْلاقِ الأَوَّلِ بِمَعْنَىٰ لامِ الإِخْتِصَاصِ وَبِالإِطْلاقِ الثَّانِيْ بِمَعْنَىٰ لامِ الْمِلْكِ.

وَخَامِساً أَنَّ هَـٰذِهِ الحُرُوْفَ وَالأَصْوَاتَ لَيْسَتْ عِنْدَهُمْ صِفَةً للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ اتِّفَاقاً لأَنَّ لَهَا ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً، وَالقَدِيْمُ لا يَبْتَدِئُ وَلا يَنْتَهِيْ. وَسَادِساً أَنَّ مَعَانِيَهَا عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بَعْضُ مَا تَدُلُّ بِهِ صِفَتُهُ القَدِيْمَةُ عَلَىٰ الرَّاجِحِ، ولَوْ كُشِفَ عَنَّا الحِجَابُ وَأُذِنَ لَنَا إِدْرَاكُ كَلامِهِ القَدِيْمِ لَفَهِمْنَا مِنْهُ مَا نَفْهَمُ مِنَ الكُتُبِ وَغَيْرَهُ. وَسَابِعاً أَنَّهُ لا يَجُوْزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأَلْفَاظِ كَوْنُهَا مَخْلُوْقَةً مُحْدَثَةً إِلَّا فِيْ مَقَامِ التَّعْلِيْمِ وَالتَّبْيِيْنِ مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ صِفَةً للهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ لِئَلَّا تُزْدَرَىٰ وَلِئَلَّا يُتَوَهَّمَ مِنْ هَـٰذَا الإِطْلاقِ مُوَافَقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ لِلمُعْتَزِلَةِ فِيْ نَفْيِ صِفَةِ اللهِ القَدِيْمَةِ. أَمَّا فِيْ مَقَامِ التَّعْلِيْمِ وَالتَّبْيِيْنِ فَيُقَالُ: أَلْفَاظُ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَحُرُوْفُهَا أَوْجَدَهَا اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَرَكَّبَهَا مَعَانِيَ وَهَيَّأَهَا لِبَعْضِ مَنْ يَخْلُقُ، وَأَمَرَ قَلَمَ الْمَقَادِيْرِ بِكِتَابَتِهَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوْظِ، فَمَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوْظِ أَوْ فِيْ مَصَاحِفِنَا أَوْ فِيْ صُدُوْرِنَا أَوْ فِيْ أَفْوَاهِنَا كَلامُ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيْقَةً وَلَيْسَ صِفَةً للهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَانَ مُتَّصِفاً بِصِفَاتِهِ قَبْلَ الكَوْنِ.

وَالقِرَاءَةُ وَالكِتَابَةُ صِفَةٌ لَنَا جَزْمًا وَلأَنْ يَكُوْنَ اللَّفْظُ الَّذِيْ نَقْرَأُ أَوْ نَكْتُبُ صِفَةً لَنا أَقْرَبُ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ صِفَةً للهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ.

وَكَلامُ اللهُ الذَّاتِيُّ لَوْ كَانَ مُتَّصِفاً بِصِفَاتِ كَلامِ الحَوَادِثِ لَكَانَ حَادِثاً، وَلَوْ كَانَ كَلامُهُ الذَّاتِيُّ حَادِثاً لَكَانَ اللهُ تعالىٰ مُتَّصِفاً بِالحَوَادِثِ وَلَوْ كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ مُتَّصِفاً بِهَا لَكَانَ حَادِثاً إِذْ مُلازِمُ الحَادِثِ حَادِثٌ بِاتِقَاقٍ وَكَوْنُهُ تَعَالَىٰ حَادِثاً مُحَالٌ، فَثَبَتَ عَدَمُ اتِّصَافِ كَلامِهِ الذَّاتِيِّ بِصِفَاتِ الحَوَادِثِ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ وَهْوَ وَلِيُّ التَّوْفِيْقِ.

بَابُ مَا يُسَمَّىٰ أَحْوَالاً

وَاعْلَمْ أَنَّ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّتِيْ ذُكِرَتْ فِيْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْهَا أُصُوْلٌ وَهِيَ الَّتِيْ مَرَّتْ فِي البَابَيْنِ قَبْلُ، وَمِنْهَا فُرُوْعٌ تَلْزَمُ وَتُفْهَمُ مِنَ

هَٰذِهِ الأُصُوْلِ، فَمِنَ الفُرُوْعِ مَا يُسَمَّىٰ أَحْوَالاً كَوُجُوْدِ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ وَكَوْنِهِ تَعَالَىٰ قَادِراً وَمُرِيْداً وَعالِماً وَحَياًّ وَسَمِيْعاً وَبَصِيْراً وَمُتَكَلِّماً وَكَبَقِيَّةِ أَسْمَآءِ اللهِ الحُسْنَىٰ فَلا خِلافَ بَيْنَ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِيْ وُجُوْبِ عِلْمِهَا وَاعْتِقَادِهَا كَمَا مَرَّ وَإِنَّمَا الخِلافُ فِيْ كَوْنِهَا صِفَاتٍ مُسْتَقِلَّةً أَوْ لا. والصَّحِيْحُ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّـهَا لَيْسَتْ صِفَاتٍ زَوَائِدَ عَلَىٰ مَا مَرَّ، لأَنَّ صِفَاتِ اللهِ الَّتِيْ دَلَّ عَلَيْـهَا الكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ الصَّحِيْحَةُ هِيَ مَا نَفَىٰ عَنْهُ سُبْحَانَهُ نَقْصاً أَوْ أَثْبَتَ لَهُ تَعَالَىٰ مَعْنىً مَوْجُوْداً فِي الخَارِجِ كَمَالِياًّ زَآئِداً عَلَىٰ الذَّاتِ يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ. وَلَيْسَ مَا يُسَمَّىٰ أَحْوَالاً كَذَٰلِكَ.

أَمَّا الوُجُوْدُ فَلَيْسَ صِفَةً مَوْجُوْدَةً فِي الخَارِجِ يَصِحُّ إِثْبَاتُـهَا لِلشَّيْءِ الْمَوْجُوْدِ أَوْ نَفْيُـهَا عَنْهُ مَعَ كَوْنِ الشَّيْءِ بَاقِياً كَالقُدْرَةِ وَالعِلْمِ، بَلْ الوُجُوْدُ أَمْرٌ إِعْتِبَارِيٌّ وَهْوَ ثُبُوْتُ الشَّيْءِ مَا دَامَ بَاقِيًا.

وَأَمَّا كَوْنُهُ تَعَالَىٰ قَادِراً وَمُرِيْداً وَعَلِيْماً وَحَياًّ وَسَمِيْعاً وَبَصِيْراً وَمُتَكَلِّماً وَبَقِيَّةُ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَىٰ فَهِيَ أُمُوْرٌ إِعْتِبَارِيَّةٌ أَيْضاً تَلْزَمُ وَتُفْهَمُ مِنْ اتِّصَافِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ بِالْقُدْرَةِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهَا، فَإِنَّ ثُبُوْتَ القُدْرَةِ للهِ يَلْزَمُ مِنْهُ كَوْنُهُ قَادِراً فَكَوْنُهُ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ قَادِرًا أَمْرٌ إِعْتِبَارِيٌّ. أَلا تَرَىٰ إِنَّهُ إِذَا فُهِمَ ثُبُوْتُ مِلْكِ الدَّارِ لِزَيْدٍ مَثَلاً يُفْهَمُ مِنْهُ كَوْنُهُ مَالِكاً لِلدَّارِ وَلَيْسَ ذٰلِكَ صِفَةً زَآئِدَةً عَنْ ثُبُوْتِ مِلْكِ الدَّارِ لِزَيْدٍ.

وَأَمَّا التَّكْوِيْنُ عَلَىٰ القَوْلِ بِهِ فَيَرْجِعُ إِلَىٰ القُدْرَةِ، لأَنَّهُ تَعَلُّقُ القُدْرَةِ بِالْمُمْكِنَاتِ إِيْجَاداً أَوْ إِعْدَاماً أَوْ إِعْزَازاً أَوْ إِذْلالاً أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ لا غَيْرُ، وَالتَّكْوِيْنُ وَالْمُكَوَّنُ مُتَغَايِرَانِ لأَنَّ التَّكْوِيْنَ هُوَ الفِعْلُ وَالْمُكَوَّنُ هُوَ الْمَفْعُوْلُ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ.

بَابُ بَعْضِ مُتَشَابِهِ مَا أُضِيْفَ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلا

وَاعْلَمْ أَوَّلاً أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ عَرَبِيٌّ. وَثَانِياً أَنَّ القُرْآنَ الكَرِيْمَ الَّذِيْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﷺ عَرَبِيٌّ. وَثَالِثاً أَنَّ أَحَادِيْثَهُ ﷺ عَرَبِيَّةٌ. وَرَابِعاً أَنَّ كُلَّ لَفْظٍ مِنَ الأَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ لَهُ مَعَانٍ كَثِيْرَةٌ بَعْضُهَا ظَاهِرٌ وَبَعْضُهَا دَقِيْقٌ وَبَعْضُهَا حَقِيْقَةٌ وَبَعْضُهَا مَجَازٌ وَبَعْضُهَا كِنَايَةٌ. وَخَامِساً أَنَّ الإِسْنَادَ العَرَبِيَّ يَكُوْنُ حَقِيْقَةً وَمَجَازًا وَكِنَايَةً. وَسَادِساً أَنَّ الإِضَافَةَ العَرَبِيَّةَ تَكُوْنُ كَذٰلِكَ أَيْضًا. وَسَابِعاً أَنَّ هٰذِهِ الْمَعَانِيَ وَرَدَ جَمِيْعُهَا فِي القُرْءَانِ الكَرِيْمِ وَفِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيْحَةِ.

فَإِنْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ أَوْ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيْحَةِ النَّبَوِيَّةِ إِسْنَادٌ مُتَشَابِهٌ أَسْنَدَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أَوْ رَسُوْلُهُ لِذَاتِهِ أَوْ وَرَدَ لَفْظٌ مُتَشَابِهٌ أَضَافَهُ اللهُ تَعَالَىٰ أَوْ رَسُوْلُهُ ﷺ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يَلِيْقُ بِاللهِ ظَاهِرُ مَعَانِيْهَا فَلا تَنْسَ أَنَّ لِهٰذِهِ الإِضَافَةِ أَوِ الإِسْنَادِ أَوِ اللَّفْظِ مَعَانِيَ كَثِيْرَةً، فَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ مُكَلَّفٍ أَنْ يُفَوِّضَ الْمُرَادَ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ إِلَىٰ اللهِ العَلِيْمِ بِكُلِّ

شَيْءٍ مَعَ تَنْزِيْهِ اللهِ تَعَالَىٰ عَمَّا لا يَلِيْقُ بِهِ أَوْ يَحْمِلَ كُلَّ ذٰلِكَ بِمَا يَلِيْقُ بِاللهِ مِنَ مَعَانِيْ ذٰلِكَ الْمَذْكُوْرِ.

وَلا يَجُوْزُ وَلا يَصِحُّ أَنْ يَحْمِلَ ذٰلِكَ الْمَذْكُوْرَ عَلَىٰ الظَّوَاهِرِ وَالحَقِيْقَةِ اللاَّتِيْ لا تَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ فَحِيْنَئِذٍ أَذْكُرُ لَكَ أَيُّهَا النَّاظِرُ فِيْ هٰذَا الكِتَابِ بَعْضَ ذٰلِكَ مَعَ مَحَامِلِهِ لِتَهْتَدِيَ بِهِ إِلَىٰ البَاقِيْ.

مِنْ تِلْكَ الأَلْفَاظِ وَالإِسْنَادَاتِ وَالإِضَافَاتِ: الرَّحْمَةُ وَالرِّضَىٰ وَالغَضَبُ وَالْمَحَبَّةُ وَاليَدُ وَاليَدَانِ وَالأَيْدِيْ وَالعَيْنُ وَالأَعْيُنُ وَالعُلُوُّ وَالكِبَرُ وَالعَظَمَةُ وَكَوْنُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ مَعَ خَلْقِهِ وَفِيْ خَلْقِهِ وَالإِسْتِوَآءُ عَلَىٰ العَرْشِ وَالْمَجِيْئُ وَالإِتْيَانُ وَالنُّزُوْلُ وَالوَجْهُ وَالجَنْبُ وَغَيْرُ ذٰلِكَ. فَنَقُوْلُ قَوْلاً مُطَابِقًا لاعْتِقَادِنَا مَعَاشِرَ أَهْلِ السُّنَةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةِ: كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا فَآمَنَّا بِهِ وَأَثْبَتْنَاهُ للهِ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِيْ عَنَاهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

فَإِنْ قَالَ قَآئِلٌ: لِمَ أَدْخَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ كِتَابِهِ الكَرِيْمِ هٰذِهِ الأَلْفَاظَ وَالإِسْنَادَاتِ وَالإِضَافَاتِ الْمُوْهِمَةَ لِمَا لا يَلِيْقُ بِهِ جَلَّ

وَعَلا؟ يُقَالُ لَهُ: لِحِكَمٍ يَعْلَمُهاَ اللهُ مِنْهَا أَنْ يُضِلَّ بِهِ كَثِيْراً وَيَهْدِيَ بِهِ كَثِيْراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الفَاسِقِيْنَ، وَمِنْهَا أَنْ يُقَرِّبَ الْمَعَانِيَ إِلَىٰ فَهْمِ الْمُؤْمِنِيْنَ السَّامِعِيْنَ وَيُؤَانِسَهُمْ وَمِنْهَا غَيْرُ ذٰلِكَ.

فَيَا أَخِيَ الْمُسْلِمَ أَقُوْلُ لَكَ نَصِيْحَةً: كُنْ مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ وَهُمُ الَّذِيْنَ يُثْبِتُوْنَ للهِ مِنَ الكَمَالاتِ مَا يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ وَيُنَزِّهُوْنَ اللهَ عَمَّا لا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ شَانُهُ وَلا تَكُنْ مِنَ الفَاسِقِيْنَ الجَهَنَّمِيِّيْنَ الْمُشَبِّهِيْنَ أَوِ الْمُعَطِّلِيْنَ فَتَحِيْدَ عَنْ جَادَةِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ وَتَهْلِكَ مَعَ الهَالِكِيْنَ وَلا تُحِبَّ وَلا تُؤْثِرْ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ النَّقَائِصَ وَكُنْ مُنْصِفاً فَإِنَّ اللهَ يَهْدِي الْمُنْصِفِيْنَ.

وَهَاكَ بَيَانَ هٰذِهِ بَعْضِ الأَلْفَاظِ وَالإِسْنَادَاتِ وَالإِضَافَاتِ بَيَاناً شَافِياً وَقِسْ بِهَا مَا شَاكَلَهَا فَإِنَّ أَهْلَ الحَقِّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةَ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ وَمَنْ أَخَذُوْا عَنْهُمُ الحَقَّ مِنْ سَلَفِهِمْ الصَّالِحِ سَلَكُوْا فِي مَعَانِيْ هٰذِهِ الأَلْفَاظِ وَالإِسْنَادَاتِ وَالإِضَافَاتِ مَسْلَكاً سَدِيْداً

لا يَنْفُوْنَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَا أَثْبَتَهُ لِذَاتِهِ أَوْ أَثْبَتَهُ لَهُ تعَالَىٰ رَسُوْلُهُ ﷺ وَلا يُشَبِّهُوْنَهُ بِخَلْقِهِ تَعَالَىٰ وَقَالُوْا إِتِّفَاقاً: إِنَّ الْمَعَانِيَ الَّتِيْ لا تَلِيْقُ بِاللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ مِنْ مَعَانِي هَٰذِهِ الأَلْفَاظِ وَالإِسْنَادَاتِ وَالإِضَافَاتِ مَنْفِيَّةٌ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، وَهِيَ الَّتِيْ تَدُلُّ عَلَىٰ التَّجْسِيْمِ وَالتَّشْبِيْهِ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ يُفَوِّضُوْنَ إِلَىٰ اللهِ تعالىٰ عِلْمَ مَا أَرَادَ بِهِ مِنَ الْمَعَانِيْ اللاَّئِقَةِ بِهِ تَعَالَىٰ، أَو يُعَيِّنُوْنَ للهِ مَا تَلِيْقُ بِهِ مِنْ مَعَانِي هَٰذِهِ الأَلْفَاظِ وَالإِسْنَادَاتِ وَالإِضَافَاتِ فَالأَوَّلُ مَذْهَبُ جُمْهُوْرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَبَعْضِ الخَلَفِ الصَّالِحِ فِيْ الْمُتَشَابِهِ فَاقْنَعْ بِهِ وَاكْتَفِ بِهِ. وَإِلَّا فَخُذِ الثَّانِيَ وَهْوَ مَذْهَبُ بَعْضِ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَجُمْهُوْرِ الخَلَفِ الصَّالِحِ وَلا تُجَاوِزْهُمَا إِلَىٰ التَّشْبِيْهِ أَوِ التَّعْطِيْلِ فَتَهْلِكَ مَعَ الهَالِكِيْنَ.

وَأَمَّا الرَّحْمَةُ الْمُضَافَةُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سورةِ هُوْدٍ: «رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ النِّسَاءِ وَفِيْ سُوْرَةِ الفُرْقَانِ وَفِيْ سُوْرَةِ الأَحْزَابِ وَفِيْ سُوْرَةِ الفَتْحِ: «وَكَانَ اللهُ غَفُورًا

رَحِيمًا». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَحْزَابِ: «وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَحِيْماً ﴿٤٣﴾». وَمَعْنَىٰ الرَّحْمَةِ أَصَالَةً إِنْعِطَافٌ وَرِقَّةٌ فِي القَلْبِ وَاللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذٰلِكَ، وَيُلازِمُ ذٰلِكَ الْمَذْكُوْرَ الإِحْسَانُ فِعْلاً أَوْ إِرَادَةُ الإِحْسَانِ وَهُمَا يَلِيْقَانِ باللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فَالإِحْسَانُ يَرْجِعُ إِلَىٰ القُدْرَةِ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ شَانُهُ يَفْعَلُ الإِحْسَانَ بِقُدْرَتِهِ، وَالثَّانِيْ وَاضِحٌ فَلَمْ تَخْرُجْ الرَّحْمَةُ حِيْنَئِذٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ.

وَأَمَّا الرِّضَا الْمُضَافُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سورةِ الْمَائِدَةِ وفِيْ سُوْرِةِ التَّوْبَةِ: وفِيْ سُوْرِةِ الْمُجَادَلَةِ وفِيْ سُوْرِةِ البَيِّنَةِ: «رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ الفَتْحِ: «لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ يُبَايِعُوْنَكَ تحْتَ الشَّجَرَةِ». وَمَعْنَىٰ الرِّضىٰ أَصَالَةً رِقَّةُ الطَّبْعِ وَمَيْلُهُ وَسُكُونُهُ إِلَىٰ شَيْءٍ لَذِيْذٍ طَعْماً أَوْ نَظْراً أَوْ شَمّاً أَوْ سَمَاعاً أَوْ لَمْساً وَذٰلِكَ لا يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَيُلازِمُ ذٰلِكَ الْمَذْكُوْرَ النَّفْعُ فِعْلاً أَوْ إِرَادَةُ النَّفْعِ فَالنَّفْعُ يَرْجِعُ إِلَىٰ القُدْرَةِ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَفْعَلُ النَّفْعَ بِقُدْرَتِهِ وَالثَّانِيْ وَاضِحٌ فَلَمْ يَخْرُجْ الرِّضَىٰ حِيْنَئِذٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ.

وَأَمَّا الغَضَبُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ تَعَالَى فَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ الْمَائِدَةِ: «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيْرَ». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ الفَتْحِ: «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ». وَمَعْنَىٰ الغَضَبِ أَصَالَةً نُفُوْرُ الطَّبْعِ وَتَغَيُّرُهُ أَوْ غَلْيَانُ مَزَاجِ الغَضْبَانِ خِلافَ العَادَةِ عِنْدَ مَا أَصَابَهُ مَا يَكْرَهُ وَلِذَا تَرَىٰ فِيْ بَعْضِ الأَشْخَاصِ عِنْدَ الغَضَبِ تَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ وَغَيْرُهَا مِنْ مَجَارِيْ مَزَاجِهِ خِلافَ العَادَةِ وَاللّٰهُ مُنَزَّهٌ عَنْ ذٰلِكَ وَيُلازِمُ ذٰلِكَ الْمَذْكُوْرَ الإِنْتِقَامُ فِعْلاً أَوْ إِرَادَةُ الإِنْتِقَامِ وَهُمَا يَلِيْقَانِ باللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَالإِنْتِقَامُ يَرْجِعُ إِلَىٰ القُدْرَةِ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَفْعَلُ الإِنْتِقَامَ بِقُدْرَتِهِ وَالثَّانِيْ وَاضِحٌ فَلَمْ يَخْرُجِ الغَضَبُ حِيْنَئِذٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ.

وَالَّذِيْ يَعْلَمُهُ العَامُّ وَالخَاصُّ أَنَّ صِفَةَ الشَّيْءِ الخَاصَّةَ بِهِ لا تَتَجَاوَزُ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ بَلِ الَّذِيْ يَتَجَاوَزُ عَنْهُ أَثَرُهَا فَقَطْ كَقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ. أَمَّا رِضَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فَهِيَ تَتَجَاوَزُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فَيَطْلُبُهَا عِبَادُهُ الْمُتَّقُوْنَ وَلَوْ كَانَتْ صِفَةً خَاصَّةً بِهِ تَعَالَىٰ لَمْ يَطْلُبُوْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ

البَقَرَةِ: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾». وقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾». وقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾». وقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الحَدِيْدِ: «وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ». فَهَلْ يُقُوْلُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ إِنَّ هَٰؤُلاءِ الْمَذْكُوْرِيْنَ فِيْ هَٰذِهِ الآيَاتِ يَطْلُبُوْنَ صِفَةً خَاصَّةً بِاللهِ تَعَالَىٰ؟ لا. بَلْ هُؤُلاءِ يَطْلُبُوْنَ إِحْسَانَ اللهِ تَعَالَىٰ، وقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾». وقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ

وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾». وَهَلْ يَقُوْلُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ إِنَّ الْمَذْكُوْرِيْنَ فِيْ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ بَعْضُهُمْ اتَّبَعَ صِفَةً خَاصَّةً باللهِ تَعَالَىٰ وَبَعْضُهُمْ رجعَ بِصِفَةٍ أُخْرَىٰ خَاصَّةٍ باللهِ تَعَالَىٰ؟ وَهَٰذَا مِمَّا لا يَقُوْلُهُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ، بَلْ بَعْضُهُمْ امْتَثَلَ أَمْرَ اللهِ تَعَالَىٰ فَأَحْسَنَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِمْ أَوْ أَرَادَ إِحْسَانَهُمْ، وَبَعْضُهُمْ أَبَىٰ امْتِثَالَ أَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فَعَاقَبَهُمْ أَوْ أَرَادَ عِقَابَهُمْ.

وَكَذَٰلِكَ غَضَبُ اللهِ تَعَالَىٰ يَتَجَاوَزُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فَيَقَعُ عَلَىٰ العُصَّاةِ الْمُتَمَرِّدِيْنَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ في سورةِ الأَعْرَافِ: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا». وقَالَ تَعَالَىٰ في سورةِ طه: «أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾». وقَالَ تَعَالَىٰ في سورةِ النَّحْلِ: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾». وقَالَ تَعَالَىٰ في سورةِ النُّوْرِ: «وَالخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ

مِنَ الصَّادِقِيْنَ ﴿٩﴾». فَهَلْ يُقُوْلُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ إِنَّ صِفَةَ اللهِ تَعَالَىٰ الخَاصَّةِ بِهِ تَنْفَصِلُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فَتَقَعُ عَلَىٰ هَٰؤُلاءِ الْمَذْكُوْرِيْنَ فِيْ هَٰذِهِ الآيَاتِ؟ لا. بَلْ الَّذِيْ هَدَّدَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ هُوَ عِقَابُهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ إِوْ إِرَادَةُ عِقَابِهِمْ فَيُعَاقِبُهُم بِعِلْمِهِ وقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الْمُضَافَةُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سورةِ البَقَرَةِ وَفِيْ سُوْرَةِ الْمَائِدَةِ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سورةِ آلِ عِمْرَانَ وَفِيْ سُوْرَةِ الْمَائِدَةِ: «واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سورةِ آلِ عِمْرَانَ: «بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سورةِ التَّوْبَةِ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ». وَمَعْنَىٰ الْمَحَبَّةِ أَصَالَةً مَيْلُ الطَّبْعِ وَسُكُوْنُهُ إِلَىٰ الشَّيْءِ للاسْتِلْذَاذِ بِهِ ذَوْقاً أَوْ نَظَرًا أَوْ شَماًّ أَوْ سَمَاعاً أَوْ مَسًّا وَهَٰذَا لا يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَيُلازِمُهُ إِكْرَامُ هَٰذَا الشَّيْءِ فِعْلاً أَوْ إِرَادَةُ الإِكْرَامِ وَهُمَا يَلِيْقَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، أَمَّا

الأَوَّلُ فَيَرْجِعُ إِلَىٰ القُدْرَةِ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَفْعَلُ ذٰلِكَ الإِكْرَامَ بِقُدْرَتِهِ وَأَمَّا الثَّانِيْ فَوَاضِحٌ فَلَمْ تَخْرُجِ الْمَحَبَّةُ حِيْنَئِذٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ.

وَأَمَّا اليَدُ وَاليَدَانِ وَالأَيْدِيْ فَقَدْ أَضَافَهَا اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ ذَاتِهِ تَعَالَىٰ فَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الْمَائِدَةِ: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوْطَتَانِ». وَقَالَ تَعَالَىٰ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ يس: «أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيْنَا أَنْعَاماً». وَقَالَ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ وَالذَّارِيَاتِ: «وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَييدٍ». وَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الْمُلْكِ: «تَبَارَكَ الَّذِيْ بِيَدِهِ الْمُلْكُ». فتَارَةً أُفرِدَ اليَدُ وتَارَةً ثُنِّيَ وَأُخْرَىٰ جُمِعَ، وَهَٰذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرادَهُ تَعَالَىٰ بِاليَدِ وَاليَدَيْنِ وَالأَيْدِيْ لَيْسَ بِجَوَارِحَ هِيَ بَعْضٌ مِنْهُ، بَلْ ذٰلِكَ لِحِكَمٍ يَعْلَمُهَا اللهُ تَعَالَىٰ وَلِمُنَاسَبَةٍ تَلِيْقُ بِذٰلِكَ.

وَلِلْيَدِ مَعَانٍ كَثِيْرَةٌ مِنْهَا: العُضْوُ الحَقِيْقِيُّ الجَارِحُ وَهْوَ لا تَلِيْقُ بِاللهِ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً، فَمَنْ فَسَّرَ يَدَ اللهِ بِالعُضْوِ يَلْزَمُهُ ثَلاثُ مَحْظُوْرَاتٍ كُلٌّ مِنْهَا بَعِيْدٌ عَنِ الحَقِّ كُلَّ البُعْدِ، الأَوَّلُ: تعْيِيْنُ الْمُرَادِ مِن

يَدِ اللهِ تَعَالَىٰ هَلِ الْمُرَادُ بِهَا عُضْوٌ مُفْرَدٌ أَمِ اثْنَانِ أَمْ جَمْعٌ؟، الثَّانِيْ: القَوْلُ بِأَنَّ غَيْرَ الْمُعَيَّنِ غَيْرُ مَقْصودٍ وَلا سَبِيْلَ إِلَىٰ تَعْيِيْنِ كَوْنِ اليَدِ وَاحِداً أَوِ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ إِلَّا بِالنَّقْلِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْ مِنَ الرَّسُوْلِ ﷺ، ولَمْ يُنْقَلْ ذَلِكَ التَّعْيِيْنُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَلا مِنَ الرَّسُوْلِ ﷺ، الثَّالِثُ: تَشْبِيْهُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالخَلْقِ: وَهْوَ حَرَامٌ شَدِيْدُ التَّحْرِيْمِ وَكُفْرٌ صَرِيْحٌ لأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ فِيْ سُوْرَةِ الشُّوْرَىٰ: «لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الإِخْلاصِ: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤاً أَحَدٌ ﴿٤﴾».

وَمِنْهَا كُلُّ الذَّاتِ قَالَ الإِمَامُ ابْنُ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيُّ فِيْ تَفْسِيْرِهِ قَالَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ لِلْيَهُوْدِ: «وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيْهِمْ». يَعْنِيْ بِهِ وَلَنْ يَتَمَنَّىٰ اليَهُوْدُ الْمَوْتَ بِمَا قَدَّمُوا أَمَامَهُمْ فِيْ حَيَاتِهِم مِّنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ ومخالفتِهم أمرَهُ وطاعتَهُ في اتِّباعِ محمَّدٍ ﷺ فِيما جاء به من عند الله، وهم يَجِدونَهُ مكتوباً عندهم في التَّوراةِ، ويَعلمون أنَّه نبيٌّ مبعوثٌ، فَأَضَافَ جَلَّ ثناؤُهُ مَا انْطوَتْ عَلَيْهِ قُلُوْبُهُمْ وَأَضْمَرَتْهُ أَنْفُسُهُمْ وَنَطَقَتْ

بِهِ السِنَتُهُم مِّنْ حَسَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالبَغْيِ عَلَيْهِ وَتَكْذِيْبِهِ وَجُحُوْدِ رِسَالَتِهِ إِلَىٰ أَيْدِيْهِمْ لِعِلْمِ العَرَبِ مَعْنَىٰ ذٰلِكَ فِيْ مَنْطِقِهَا وَكَلامِهَا إذ كان جل ثناؤه إنما أَنْزَلَ القرآنَ بلسانِهَا وبلغتِها. وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ تَبَّتْ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِيْ لَهَبٍ وَتَبَّ». اهـ.

وَمِنْهَا: التَّصَرُّفُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ البَقَرَةِ: «أَوْ يَعْفُوَ الَّذي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ». يَعْنِي أَوْ يَعْفُوَ الَّذِيْ فِيْ تَصَرُّفِهِ النِّكَاحُ إِنْ شَاءَ طَلَّقَ الْمَرْأَةَ وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَهَا. ومنها الِاخْتِصَاصُ بِالفِعْلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِي سورةِ ص: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ». أَيْ تَوَلَّيْت خَلْقَهُ. وَمِنْهَا: القُوَّةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ ص: «وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُود ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ ص: «وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيْمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوْبَ أُولِي الأَيْدِيْ وَالأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾». وَكَقَوْلِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ يا عِيسَىٰ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ» وَهٰذَا بَعْضُ حَدِيْثٍ

طَوِيْلٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَالحَاكِمُ وَالبَغَوِيُّ وَأَحْمَدُ. أَيْ لا قُدْرَةَ وَلا طَاقَةَ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ. وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

تَحَمَّلْتُ مِنْ ذَلْفَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ ... وَلا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ

وَفِيْ بَعْضِ النُّسَخِ:

تَحَمَّلْتُ مِنْ عَفْرَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ ... وَلا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ

وَمِنْهَا: الْمُلْكُ يُقَالُ: هَٰذِهِ الدَّارُ فِي يَدِ فُلانٍ. وَمِنْهَا: النِّعْمَةُ كَقَوْلِكَ: لِفُلانٍ عِنْدِيْ يَدٌ أَشْكُرُهَا لَهُ. وَمِنْهَا: النَّصْرُ وَمِنْهَا: العَطِيَّةُ، وَمَا سِوَىٰ العُضْوِ الجَارِحِ مِنْ مَعَانِي اليَدِ يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَذَٰلِكَ يَرْجِعُ إِلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ بِقُدْرَتِهِ فَلَمْ تَخْرُجِ اليَدُ حِيْنَئِذٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ.

وَأَمَّا العَيْنُ وَالأَعْيُنُ الْمُضَافَانِ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ هُوْدٍ: «وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا». وَقَالَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ طه: «وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيَ ﴿٣٩﴾». وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ القَمَرِ: «تَجْرِيْ بِأَعْيُنِنَا». وَلِلْعَيْنِ مَعَانٍ تَزِيْدُ عِشْرِيْنَ، مِنْهَا: العُضْوُ الجَارِحُ وَمِنْهَا:

الْمَالُ وَمِنْهَا: الذَّهَبُ وَمِنْهَا: الشَّمْسُ وَمِنْهَا: الْمَآءُ الجَارِيْ وَهَٰذِهِ الْمَعَانِي لا يَصِحُّ أَنْ تَكُوْنَ صِفَاتٍ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَكُلُّهَا مِلْكٌ للهِ تَعَالَىٰ، وَمِنْهَا: الحِفْظُ وَالرِّعَايَةُ وَهَٰذَا يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَجُمِعَ العَيْنُ لِلتَّعْظِيْمِ كَضَمِيْرِ الجَمْعِ الَّذِيْ أُضِيْفَ إِلَيْهَا، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَفْعَلُ الحِفْظَ وَالرِّعَايَةَ بِقُدْرَتِهِ، فَلَمْ تَخْرُجِ العَيْنُ عَنْ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ.

وَأَمَّا مَعْنَىٰ العُلُوِّ فَاثْنَانِ أَحَدُهُمَا: حِسِّيٌّ وَهُوَ لا يَدُلُّ عَلَىٰ الكَمَالِ فَالأَشْجَارُ وَالجِبَالُ الطِّوَالُ وَسَقْفُ البَيْتِ وَالسَّحَابُ وَالسَّمَآءُ تَعْلُوْ عَلَيْكَ حِسًّا وَأَنْتَ أَعْلَىٰ مِنْهَا قَدْراً إِنْ كُنْتَ مُؤْمِناً، وَثَانِيْهِمَا: مَعْنَوِيٌّ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ الكَمَالِ لأَنَّهُ عُلُوُّ القَدْرِ وَالشَّرَفِ وَالْمَرْتَبَةِ وَهَٰذَا العُلُوُّ إِنْ كَانَ قَدِيْماً فَيَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالٍ مُطْلَقٍ قَدِيْمٍ وَإِنْ كَانَ حَادِثاً فَيَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالٍ مُؤَقَّتٍ حَادِثٍ، أَلا تَرَىٰ أَنَّ الْمَلِكَ رَئِيْسَ الدَّوْلَةِ فَوْقَ الوُزَرَآءِ وَالعَسَاكِرِ وَالرَّعِيَّةِ فِيْ زَمَانِ مُلْكِهِ وَلَيْسَ ذَٰلِكَ حِساًّ بَلْ قَدْراً وَشَرَفاً وَمَرْتَبَةً وَهَٰذَا هُوَ الكَمَالُ وَلَكِنَّهُ حَادِثٌ وَأَمَّا عُلُوُّ اللهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ عُلُوُّ كَمَالٍ لأَنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الآمِرُ لا الْمَامُوْرُ قَبْلاً وَبَعْداً وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ لا

الْمُتَصَرَّفُ فِيْهِ قَبْلاً وَبَعْداً وَهْوَ الفَاعِلُ الْمُخْتَارُ لا الْمَفْعُوْلُ قَبْلاً وَبَعْداً وَأَيْضاً هُوَ قَدِيْمٌ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مُتَّصِفٌ بِجَمِيْعِ صِفَاتِهِ قَبْلَ كُلِّ الجِهَاتِ فَحِيْنَئِذٍ لَيسَ عُلُوُّهُ تَعَالَىٰ حِسِّياً لأَنَّهُ حَادِثٌ بَعْدَ حُدُوْثِ الجِهَاتِ مِصْدَاقُ ذَٰلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالطَّحَاوِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ، وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «وَللهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ». أَيِ الصِّفَةُ العَالِيَةُ الشَّانِ.

وَأَمَّا الكِبَرُ وَالعَظَمَةُ الْمُضَافَانِ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ البَقَرَةِ: «وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ النِّسَاءِ: «إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ سَبَأَ: «وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴿٢٣﴾». وَهُمَا مُتَرَادِفانِ وَمَعْنَاهُمَا حِسِّيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ فَالحِسِّيُّ هْوَ كِبَرُ الجُثَّةِ أَيْ كَثْرَةُ الأَجْزَآءِ وَهْوَ لا يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ، وَالْمَعْنَوِيُّ هْوَ كِبَرُ القَدْرِ وَالشَّرَفِ وَهْوَ الَّذِيْ يَلِيْقُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَلا تَرَىٰ أَنَّ الكَعْبَةَ مَعَ صِغَرِهَا زَادَهَا اللهُ شَرَفاً أَعْظَمُ قَدْراً مِنَ

سَائِرِ الأَرْضِ مَعَ كِبَرِهَا جُثَّةً كَثِيْراً، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْظَمُ قَدْراً مِنْ جَمِيْعِ الخَلْقِ مَعَ أَنَّ كَثِيْراً مِنَ الخَلْقِ أَعْظَمُ جُثَّةً مِنْهُ ﷺ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً كَالسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَعَ خَلْقِهِ فَكَمَا قَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُوْنَ مَا لا يَرْضَىٰ مِنَ القَوْلِ». وَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الحَدِيْدِ: «وَهْوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ». وَقَالَ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ الْمُجَادلَةِ: «إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوْا». فَالْمُتَبَادِرُ مِنْ هٰذِهِ الآيَاتِ مُصَاحَبَةُ ذَاتِ اللهِ مَعَ كُلٍّ مِنْ أَفْرَادِ الخَلْقِ لأَنَّ لَفْظَةَ هُوَ تَرْجِعُ إِلَي ذَاتِهِ الْمُقَدَّسِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْرُهُ وَهٰذِهِ الظَّوَاهِرُ لا تَلِيْقُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلا، لأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهَا تَعَدُّدُ ذَاتِ اللهِ إِلَىٰ مَا لا نِهَايَةَ لَهُ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً. فَهٰذِهِ النُّصُوْصُ وَمَا شَاكَلَهَا لا بُدَّ لِهَا مِنْ مَعَانٍ تَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ فَحِيْنَئِذٍ نُفَوِّضُ عِلْمَهَا إِلَىٰ اللهِ العَلِيْمِ بِكُلِّ شَيْءٍ مَعَ التَّنْزِيْهِ عَمَّا لا يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَوْ نَقُوْلُ: الَّذِيْ يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ

شَانُهُ مُصَاحَبَتُهُ تَعَالَىٰ لِجَمِيْعِ خَلْقِهِ عُلْوِيِّهِ وَسُفْلِيِّهِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ بِصِفَاتِهِ بِعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ لا بِذَاتِهِ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ خَلْقِهِ كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الإِسْرَاءِ: «أَأَمِنْتُم مَّنْ فِي السَّمَآءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ». وَقَالَ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ الإِسْرَاءِ: «أَأَمِنْتُم مَّنْ فِي السَّمَآءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً». فَالْمُتَبَادِرُ مِنْ هَـٰذِهِ الآيَاتِ كَوْنُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مَظْرُوْفاً فِيْ بَعْضِ خَلْقِهِ لأَنَّ لَفْظَةَ مَنْ تَدُلُّ عَلَىٰ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسِ، وَهَـٰذِهِ الظَّوَاهِرُ لا تَلِيْقُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلا، لأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهَا حُلُوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ فِيْ بَعْضِ خَلْقِهِ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذَٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً.

فَهَـٰذِهِ النُّصُوْصُ وَمَا شَاكَلَهَا لا بُدَّ لِهَا مِنْ مَعَانٍ تَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ فَحِيْنَئِذٍ نُفَوِّضُ عِلْمُهَا إِلَىٰ اللهِ العَلِيْمِ بِكُلِّ شَيْءٍ مَعَ التَّنْزِيْهِ عَمَّا لا يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَوْ نَحْمِلُ عَلَىٰ كَوْنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيْ سَمَآئِهِ بِصِفَاتِهِ

بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ لا بِذَاتِهِ، فَلَمْ تَدُلَّ هَٰذِهِ الآيَاتُ عَلَىٰ مَعَانٍ زَائِدَةٍ عَلَىٰ صِفَاتِ الْمَعَانِيْ.

قَالَ الإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوْفٍ الثَّعَالَبِيُّ فِيْ كِتَابِهِ الجَوَاهِرِ الحِسَانِ عِنْدَ تَفْسِيْرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ: «وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَٰوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ» قَاعِدَةُ الكَلامِ فِيْ هَٰذِهِ الآيَةِ: أَنَّ حُلُولَ اللهِ فِي الأَمَاكِنِ مُسْتَحِيلٌ، تَعَالَىٰ أَنْ يَحْوِيَهُ مَكَانٌ كَمَا تَقَدَّسَ أن يَحُدَّهُ زَمَانٌ، بَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ، وَهْوَ الآنَ عَلَىٰ مَا عَلَيْهِ كَانَ أَيْ كَمَا كَانَ بِهِ أَزَلاً اهـ.

وَقَالَ الإِمَامُ القُشَيْرِيُّ فِيْ تَفْسِيْرِهِ أَوَّلَ سُوْرَةِ البَقَرَةِ وَالأَلِفُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الحُرُوْفِ انْفَرَدَتْ بِأَنَّهَا لا يَتَّصِلُ بِهَا حَرْفٌ فِي الخَطِّ وَسَائِرُ الحُرُوْفِ يُتَّصَلُ بِهَا أَيْ إِلَّا حُرُوْفٌ يَسِيْرَةٌ، فَيَنْتَبِهُ العَبْدُ عِنْدَ تَأَمُّلِ هَٰذِهِ الصِّفَةِ إِلَىٰ احْتِيَاجِ الخَلْقِ بِجُمْلَتِهِمْ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلا، وَاسْتِغْنَائِهِ تَعَالَىٰ عَنِ الجَمِيْعِ. وَيُقَالُ يَتَذَكَّرُ العَبْدُ الْمُخْلِصُ مِنْ حَالَةِ الأَلِفِ تَقَدُّسَ الحَقِّ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ التَّخْصُّصِ بِالْمَكَانِ، وَلَقَدِ اسْتَغْنَتْ قُلُوْبُ الْمُوَحِّدِيْنَ لِمَا فِيْهَا مِنْ أَنْوَارِ البَصَائِرِ عَنْ طَلَبِ التَّاوِيْلِ لِهَٰذِهِ الآيَةِ وَأَمْثَالِهَا إِذِ الحَقُّ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ انْتِقَالٍ وَزَوَالٍ وَاخْتِصَاصٍ بِمَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ، وَمُقَدَّسٌ عَنْ كُلِّ حَرَكَةٍ وَإِتْيَانٍ اهـ.

وَأَمَّا الإِتْيَانُ وَالْمَجِيْءُ الْمُضَافَانِ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَىٰ اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴿٢١٠﴾». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «فَأَتَىٰ اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ القَوَاعِدِ». وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ وَالفَجْرِ: «وَجَاءَ رَبُّكَ». وَالْمُتَبَادِرُ مِنَ الآيَةِ الأُوْلَىٰ وَالثَّالِثَةِ هُوَ الانْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ آخَرَ غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِكَوْنِهِ مِنْ عُلُوٍّ، وَالِانْتِقَالُ صِفَةٌ حَادِثَةٌ لا تَلِيْقُ بِاللهِ جَلَّ شَانُهُ.

الإِتْيَانُ وَالْمَجِيْئُ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَالْمَعَنَىٰ الْمُتَبَادِرُ مِنَ الآيَةِ الثَّالِثَةِ هُوَ الَّذِيْ يُحِيلُ كَوْنَ الإِتْيَانِ صَفَةَ للهِ تَعَالَىٰ لأَنَّهُ لا يَقُوْلُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ فَضْلاً عَنْ مُؤْمِنٍ عَالِمٍ: إِنَّ اللهَ تَحْتَ الأَرْضِ حَتَّىٰ يَأْتِيَ مِنْهُ، فَيَتَبَيَّنُ أَنَّ الإِتْيَانَ لَيْسَ صِفَةً ذَاتِيَةً للهِ تَعَالَىٰ وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ صَرَّحَ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّ الّذِيْ يَأْتِيْ إِلَىٰ الخَلْقِ هُوَ أَمْرُهُ حَيْثُ قَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ». وَالقُرْآنُ يُفَسِّرُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَأَمَّا مَعْانِي الاسْتِوَآءِ فَكَثِيْرَةٌ مِنْهَا: التَّمَامُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ القَصَصِ: «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ» وَمِنْهَا: التَّمَاثُلُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الزُّمَرِ: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لا يَعْلَمُوْنَ». وَمِنْها: الإِسْتِقْرَارُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ هُوْدٍ: «وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الجُوْدِيِّ». وَمِنْهَا: الاسْتِقَامَةُ وَالإِعْتِدَالُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الفَتْحِ: «فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ» وَكَقَوْلِكَ اسْتَوَىٰ العُوْدُ مِنَ الإِعْوِجَاجِ وَمِنْهَا: القَصْدُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «ثُمَّ اسْتَوَآ

إِلَىٰ السَّمَآءِ» وَمِنْهَا: التَّصَرُّفُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ طه: «الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ» وَمِنْهَا التَّصَرُّفُ والقَهْرُ: كَقَوْلِ الشَّاعِرِ مِنْ الطَّوِيْلِ:

إِذَا مَا غَزَا قَوْماً أَبَاحَ حَرِيْمَهُمْ ... وَأَضْحَىٰ عَلَىٰ مَامَلَكُوْهُ قَدِاسْتَوَىٰ

وَكَقَوْلِ الآخَرِ وَهْوَ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيْلِ أَيْضاً:

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمِ ... جَعَلْنَاهُمُ مَّرْعاً لِنَسْرٍ وَطَآئِرِ.

وَكَقَوْلِ الآخَرِ مِنْ الرَّجَزِ:

قَدِاسْتَوَىٰ بِشْرٌ عَلَىٰ العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقٍ

وَكغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنْ أَقْوَالِ شُعَرَآءِ العَرَبِ اللاَّتِيْ هِيَ مَرْجِعُ النَّاسِ بِمَا خَفِيَ عَلَيْهِم مِنْ مَعَانِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِيْ نَزَلَ بِهَا القَرْءَانُ الكَرِيْمُ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ

سَاقٍ» فَقَالَ: «إِذَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَابْتَغُوْهُ فِي الشِّعْرِ فَإِنَّهُ دِيْوَانُ العَرَبِ أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

اِصْبِرْ عَنَاقُ إِنَّهُ شَرٌّ بَاقٍ ... قَدْ سَنَّ قَوْمُكَ ضَرْبَ الأَعْنَاقِ

وَقَامَتِ الحَرْبُ بِنَا عَلَىٰ سَاقٍ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: هَٰذَا يَوْمُ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ». رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالحَاكِمُ وَقَالَ: هَٰذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحُ الإِسْنَادِ، وأَسْنَدَ البَيْهَقِىٰ الأَثَرَ الْمَذْكُوْرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِسَنَدَيْنِ كُلٌّ مِنْهُمَا حَسَنٌ، وَأَسْنَدَ البَيْهَقِيُّ أَيْضًا مِنْ وَجْهٍ آخَرَ صَحِيْحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَمَا سِوَىٰ القَصْدِ وَالتَّصَرُّفِ وَالقَهْرِ مِنْ مَعَانِي الإِسْتِوَاءِ الْمَآرَّةِ لا يَلِيْقُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلا لأَنَّ مَا سِوَىٰ ذَٰلِكَ يَدُلُّ تَشْبِيْهَ اللهِ بِخَلْقِهِ وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنْ التَّشْبِيْهِ بِالخَلْقِ، وَأَيْضاً كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ مُتَّصِفاً بِصِفَاتِهِ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْمَكَانَ ولَمْ تَحْدُثْ لَهُ تَعَالَىٰ بَعْدَ خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَكُلِّ مَكَانٍ صِفَةُ الاسْتِقْرَرِ فِيْ شَيْءٍ أَوْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَوْ إِلَىٰ شَيْءٍ.

أَمَّا قَصْدُهُ تَعَالَىٰ فَصِفَةُ ذَاتٍ لأَنَّهُ إِرَادَتُهُ وَأَمَّا تَصَرُّفُهُ وَقَهْرُهُ فَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الأَفْعَالِ لأَنَّهُمَا مِنْ تَعَلُّقَاتِ القُدْرَةِ، وَإِرَادَةُ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَصَرُّفُهُ وَقَهْرُهُ نَوَافِذُ فِيْ جَمِيْعِ الكَائِنَاتِ عُلْوِيِّهَا وَسُفْلِيِّهَا كَبِيْرِهَا وَصَغِيْرِهَا، وَقَدْ أَعْلَمَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِذٰلِكَ فِيْ آيَةِ الأَعْرَافِ أَخْبَرَنَا أَوَّلاً أَنَّهُ خَلَقَ العُلْوِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ». وَهٰذَا القَوْلُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ أَرَادَ خَلْقَهَا وَأَوْجَدَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَأَخْبَرَنَا ثَانِياً أَنَّهُ تَصَرَّفَ فِيْمَا هُوَ أَكْبَرُ مِمَّا نَرَاهُ وَهْوَ العَرْشُ فَقَالَ تَعَالَىٰ: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ». وَأَخْبَرَنَا ثَالِثاً أَنَّهُ تَصَرَّفَ فِيْمَا نَرَاهُ مِنَ العَجَائِبِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: «يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيْثاً وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ». ثُمَّ أَجْمَلَ رَابِعاً مَا فَصَّلَ قَبْلُ فَقَالَ تَعَالَىٰ: «أَلالَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ». أَيِ الإِيْجَادُ وَالتَّصَرُّفُ ثُمَّ نَزَّهَ خَامِساً ذَاتَهُ عَمَّا لا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الْمُشَابَهَةِ لِلْخَلْقِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: «تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ ﴿٥٤﴾».

وَأَمَّا النُّزُوْلُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَكَقَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا حِيْنَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ». رَوَاهُ أصحابُ الأمَّهاتِ السِّتَّةِ وَابْنُ حِبَّانَ وَالطَّبَرَانِيُّ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ والبغوِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ.

وَقَدْ مَرَّ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّنَا نُؤْمِنُ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقَوْلِ رَسُوْلِهِ ﷺ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الَّذِيْ أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَسُوْلُهُ ﷺ فَلا تَنْسَ ذَٰلِكَ، ثُمَّ النُّزُوْلُ نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا: حِسِّيٌّ وَهْوَ انْتِقَالٌ وَتَحَرُّكٌ مِنْ عُلُوٍّ إِلَىٰ أَسْفَلَ وَهُوَ لا يَلِيْقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ لأَنَّهُ مُتَجَدِّدٌ حَادِثٌ وَاللهُ تّعَالَىٰ شَانُهُ قَدِيْمٌ وَكَذَا صِفَاتُهُ فَلَمْ تَحْدُثْ للهِ صِفَاتٌ بَعْدَ خَلْقِ العُلْوِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ كَمَا قَالَ الإِمَامُ أَبُوْ جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ فِيْ رِسَالَتِهِ «العَقِيْدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ»: «مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيْماً قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَةٍ وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا كَذَٰلِكَ لا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبداً». اهـ.

وَثَانِيْهِمَا: مَعْنَوِيٌّ وَهْوَ نُزُوْلُ رَافَتِهِ تَعَالَىٰ لا سِيَّمَا وَقَدْ جَاءَ حَدِيْثُ النُّزُوْلِ مُفَسَّرًا مُبَيَّناً فِيْمَا خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ وَأَبِيْ سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهِلُ حَتَّىٰ يَمْضِيَ شَطْرُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ ثُمَّ يَأْمُرُ مُنَادِياً يَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ». صَحَّحَهُ أَبُوْ مُحَمَّدٍ عَبْدُ الحَقِّ. اهـ. إِفْهَمْ هَٰذَا وَقَدْ ضَبَطَ بَعْضُ العُلَمَاءِ هَٰذَا الحَدِيْثَ بِلَفْظِ «يُنْزِلُ» بِضَمِّ أَوَّلِهِ كَمَا نَقَلَهُ الإِمَامُ ابْنُ فَوْرَكٍ.

وَقَالَ الحَافِظُ أَبُوْ بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الحُسَيْنِ البَيْهَقِيُّ الشَّافِعِيُّ: فَأَمَّا نُزُوْلُ مَنْ لا تَسْتَوْلِيْ عَلَيْهِ صِفَاتُ الأَجْسَامِ فَإِنَّ هَٰذِهِ الْمَعَانِيْ غَيْرُ مُتَوَهَّمَةٍ فِيْهِ وَإِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ عَنْ قُدْرَتِهِ وَرَافَتِهِ بِعِبَادِهِ وَعَطْفِهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِجَابَتِهِ دُعَاءَهُمْ وَمَغْفِرَتِهِ لَهُمْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لا يَتَوَجَّهُ عَلَىٰ صِفَاتِهِ كَيْفِيَةٌ وَلا عَلَىٰ أَفْعَالِهِ كَمِّيَةٌ سُبْحَانَهُ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهْوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ ﴿١١﴾». اهـ.

فَحِيْنَئِذٍ تَعَيَّنَ إِمَّا تَفْوِيْضُ الْمُرَادِ إِلَىٰ اللهِ العَلِيْمِ بِكُلِّ شَيْءٍ مَعَ تَنْزِيْهِ اللهِ تَعَالَىٰ عَنِ النُّزُوْلِ الحَادِثِ الَّذِيْ انْتِقَالٌ مِنْ حَادِثٍ إِلَىٰ مِثْلِهِ وَإِمَّا حَمْلُ نُزُوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ النُّزُوْلِ الْمَعْنَوِيِّ وَنَجِدُ فِيْ كَلامِ اللهِ وَفِيْ كَلامِ أَهْلِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ نُزُوْلاً لا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَىٰ الحِسِّيِّ بَتَّاتاً كَقَوْلِ اللهِ جَلَّ شَانُهُ «يَا بَنِيْ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِيْ سَوْآتِكُمْ وَرِيْشاً». وَالَّذِيْ يَعْلَمُهُ الغَبِيُّ وَالذَّكِيُّ أَنَّ ثِيَابَ العِبَادِ مَخْلُوْقَةٌ وَمَصْنُوْعَةٌ فِيْ الأَرْضِ وَمَا رُؤِيَ قَطُّ ثِيَابٌ نَازِلاتٌ مِنَ السَّمَآءِ بِالانْتِقَالِ وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ: «وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ». وَمَا رُؤِيَ قَطُّ بَعِيرٌ وَلا بَقَرٌ وَلا ضَّانٌ وَلا مَعْزٌ نَازِلاتٍ مِنَ السَّمَاءِ بِالانْتِقَالِ، بَلْ هِيَ مَخْلُوقَةٌ فِي الأَرْحَامِ، وَلِإِنْزَالِ الثِّيَابِ وَالأَنْعَامِ مَعَانٍ غَيْرُ الحِسِّيَّةِ لا مَحَالَةَ اللهُ يَعْلَمُهَا. وَكَقَوْلِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه: «دَخَلْتُ مِصْرَ فَلَمْ يَفْهَمُوا كَلامِيْ، فَنَزَلْتُ ثُمَّ نَزَلْتُ ثُمَّ نَزَلْتُ». فَلَمْ يُرِدِ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ بِهَٰذَا النُّزُوْلِ انْتِقَالَ جَسَدِهِ مِنْ عُلُوٍّ إِلَىٰ أَسْفَلَ، فَإِذَ ثَبَتَ فِيْ كَلامِ اللهِ وَكَلامِ أَهْلِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ نُزُوْلٌ لا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَىٰ الحِسِّيِّ بَتَّاتاً فَلْيَتَحَقَّقِ

الْمُؤْمِنُ قَطْعًا حِيْنَئِذٍ أَنَّ النُّزُولَ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ لَيْسَ انْتِقَالَ ذَاتِهِ مِنْ عُلُوٍّ إِلَىٰ أَسْفَلَ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذَٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْرًا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنْ لَمْ يُرَدْ بِهَٰذَا النُّزُوْلِ الَّذِيْ أُثْبِتَ للهِ انْتِقَالٌ مِنْ عُلُوٍّ إِلَىٰ أَسْفَلَ فَمَا الَّذِي أُرِيْدَ بِهِ؟ فَيُقَالُ لَهُ : أَنْتَ إِذَا عَجَزْتَ عَنْ فَهْمِ نُزُولِ البَعِيرِ مَثَلاً مِنَ الأعلىٰ فَأَنْتَ عَنْ فَهْمِ نُزُولِ اللهِ تَعَالَىٰ أَعْجَزُ فَلَيْسَ هَٰذَا بِوُسْعِكَ فَاتْرُكْهُ وَاشْتَغِلْ بِعِبَادَتِكَ أَوْ حِرْفَتِكَ وَاسْكُتْ. وَنَفْيُ النُّزُوْلِ الحِسِّيِّ عَنِ اللهِ جَلَّ شَانُهُ بَعْدَ إِثْبَاتِ النُّزُوْلِ للهِ إِجْمَالاً هُوَ التَّاوِيْلُ الإِجْمَالِيُّ الّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَالخَلَفُ الصَّالِحَانِ.

وَأَمَّا الوَجْهُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْعَامِ وَفِيْ سُوْرَةِ الكَهْفِ: «يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهُ». وَقَوْلِهِ عَزَّ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ الرُّوْمِ: «تُرِيْدُوْنَ وَجْهَ اللهِ». وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ وَاللَّيْلِ: «إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ». وَلِلْوَجْهِ مَعَانٍ، مِنْهَا: العُضْوُ الْمَعْرُوْفُ، وَهْوَ لا يَلِيْقُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ لأَنَّ الوَجْهَ لَوْ أُبْقِيَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ وَأُثْبِتَ للهِ هَٰذَا العُضْوُ

وَغَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الجَوَارِحِ الْمَعْهُوْدَةِ تَنَزَّهَ عَنْ ذَٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً يَلْزَمُ مِنْهُ تَشْبِيْهُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالخَلْقِ وَهَلاكُ ذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ وَفَنَاءُ غَيْرِ هَـٰذَا العُضْوِ مِنْ بَقِيَّةِ اللهِ لِهَـٰذَيْنِ الآيَتَيْنِ: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ». «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ». تَنَزَّهَ عَنْ ذَٰلِكَ تَنَزُّهاً كَبِيْراً.

وَمِنْهَا: الجَاهُ وَالقَدْرُ وَهُمَا يَلِيْقَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ. وَمِنْهَا: الذَّاتُ وَهُوَ مَحْمَلُ هَـٰذِهِ الآيَاتِ، قَالَ إِمَامُ الْمُفَسِّرِيْنَ أَبُوْ جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيُّ فِيْ تَفْسِيْرِهِ جَامِعِ البَيَانِ وَاخْتُلِفَ فِيْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ». فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا هُوَ، وَقَالَ آخَرُوْنَ: مَعْنَىٰ ذَٰلِكَ إِلَّا مَا أُرِيْدَ بِهِ وَجْهُهُ وَاسْتَشْهَدُوا لِتَاوِيْلِهِمْ ذَٰلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبُّ العِبادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ والعَمَلُ

وَأَمَّا الجَنْبُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنْبِ اللهِ». فِيْ ذَاتِ اللهِ، وَقَالَ أَيْضًا:

كَأَنَّهُ عِنْدَنَا قِيْلَ: فِي اللهِ، ثُمَّ قال أَيْضًا فِيْ مَوْضِعٍ آخَرَ: عِنْدَ تَفْسِيْرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنْبِ اللهِ». عَلَىٰ مَا ضَيَّعْتُ مِنَ العَمَلِ بِمَا أَمَرَنِيَ اللهُ بِهِ وَقَصَّرْتُ فِي الدُّنْيَا فِيْ طَاعَةِ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: وَبِنَحْوِ الَّذِيْ قُلْنَا فِيْ ذٰلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّاوِيْلِ. مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ قَالا فِيْ قَوْلِ اللهِ: «عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنْبِ اللهِ». فِيْ أَمْرِ اللهِ اهـ.

وَقَالَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ فِيْ تَفْسِيْرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: «عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي جَنْبِ اللهِ». قَالَ الحَسَنُ أَيِ البِصْرِيُّ: فِيْ طَاعَةِ اللهِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: أَيْ فِيْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: يَعْنِىٰ القُرْآنَ وَالعَمَلَ بِهِ. وَقَالَ أَبُوْ عُبَيْدَةَ: فِيْ جَنْبِ اللهِ أَيْ فِيْ ثَوَابِ اللهِ. وَقَالَ الفَرَّاءُ: الجَنْبُ القُرْبُ وَالجِوَارُ أَيْ فِيْ طَلَبِ جِوَارِهِ وَقُرْبِهِ وَهْوَ الجَنَّةُ. وَقَالَ الزَّجَاجُ: أَيْ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِي الطَّرِيْقِ الَّذِيْ هُوَ طَرِيْقُ اللهِ الَّذِيْ دَعَانِيْ إِلَيْهِ، وَقَالَ ابْنُ عُرْفَةَ: أَيْ تَرَكْتُ مِنْ أَمْرِ اللهِ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، أَيْ ضَيَّعْتُ مِنْ أَمْرِ اللهِ اهـ. وَقَالَ الإِمَامُ البَيْضَاوِيُّ فِيْ تَفْسِيْرِهِ «فِىٰ جَنبِ اللهِ». فِيْ جَانِبِهِ أَيْ فِيْ

حَقِّهِ وَهْوَ طَاعَتُهُ اهـ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن. وَاللهُ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ.

بَابُ تَنْزِيْهِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ ظَوَاهِرِ الْمُشَابِهَاتِ

والحَاصِلُ فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ الوَجْهَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ بِلَفْظِ الإِفْرَدِ وَذَكَرَ العُيُوْنَ الْمُضَافَةَ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ بِصِيْغَةِ الجَمْعِ وَذَكَرَ الأَيْدِيْ الْمُضَافَةَ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ بِصِيْغَةِ الجَمْعِ وَذَكَرَ الجَنْبَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ بِلَفْظِ الإِفْرَدِ وَذَكَرَ سَاقاً وَاحِداً غَيْرَ مُضَافٍ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ ثُمَّ أَضَفْتَهُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ، فَإِنْ أَخَذتَّ بِظَاهِرِ هَٰذِهِ النُّصُوْصِ وَجَعَلْتَ ذَٰلِكَ الظَّوَاهِرَ أَعْضَاءً للهِ تَعَالَىٰ شَأْنُهُ يَلْزَمُكَ إِثْبَاتُ ذَاتٍ لَهَا وَجْهٌ وَاحِدٌ وَعَلَىٰ الوَجْهِ أَعْيُنٌ كَثِيْرَةٌ، وَلَهَا جَنْبٌ وَاحِدٌ وَعَلَىٰ الجَنْبِ أَيْدٍ كَثِيْرَةٌ وَلَهَا سَاقٌ وَاحِدٌ فَأَيُّ ذَاتٍ تَكُوْنُ فِي الدُّنْيَا أَبْشَعَ مِنْ هَٰذَا؟!!! فَظَهَرَ بِهَٰذَا الْمَذْكُوْرِ أَنَّ ظَوَّاهِرَ هَٰذِهِ النُّصُوْصِ لَيْسَتْ مُرَادَةً لأَنَّها لا تَلِيْقُ بِاللهِ، تَنَزَّهَ اللهُ عَنْ ذَٰلِكَ تَنَزُّهاً

كَبِيْرًا. وَلأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُوْلُ وَقَوْلُهُ الحَقُّ: «وَللهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴿٦٠﴾». أَي للهِ الوَصْفُ الأَكْمَلُ الأَجَلُّ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُوْلُ فِيْ سُوْرَةِ النُّوْرِ: «اللهُ نُوْرُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ». فَهَلْ يَكُوْنُ النُّوْرُ الَّذِيْ عَلَىٰ الحِيْطَانِ وَالسُّقُوْفِ وَفِي الطُّرُقِ وَالحُشُوْشِ هُوَ اللهُ تَعَالَىٰ مَعَ أَنَّهُ ظَاهِرُ هَٰذَا النَّصِّ؟!!، لا يَقُوْلُ بِذَٰلِكَ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ فَضْلاً عَنْ مُؤْمِنٍ عَالِمٍ بَل وَلا قَالَتِ الْمَجُوْسُ بِذَٰلِكَ. وَقَالَ تَعَالَىٰ أَيْضاً فِيْ سُوْرَةِ ق: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيْدِ». وَظَاهِرُ هَٰذِهِ الآيَةِ يَقْتَضِيْ أَنْ يَكُوْنَ اللهُ تَعَالَىٰ دَاخِلَ الغَلْصَمَةِ أَوْ دَاخِلَ مَوْضِعِ الإِبْتِلاعِ فَهَلْ يَقُوْلُ بِذَٰلِكَ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ فَضْلاً عَنْ مُؤْمِنٍ عَالِمٍ؟!! لا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ أَيْضاً فِيْ سُوْرَةِ النَّجْمِ: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ». وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُوْ دَاوُوْدَ وَابْنُ حِبَّانَ وَأَحْمَدُ وَالبَيْهَقِيُّ وَالبَغَوِيُّ.

وَمَعْلُوْمٌ لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ شَيْءٍ كَائِنٍ فِي جِهَةٍ يَكُوْنُ بِالقُرْبِ إِلَىٰ هَـٰذِهِ الجِهَةِ، فَإِنْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ بِالسُّجُوْدِ وَصَرَّحَ الْمُصْطَفَىٰ بِأَنَّ العَبْدَ حَالَةَ سُجُوْدِهِ أَقْرَبُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِن حَالَةِ قِيَامِ نَفْسِهِ وَمِنْ كُلِّ أَحْوَالِهِ فَهَـٰذِهِ النُّصُوْصُ تَدُلُّ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ شَانُهُ لَيْسَ فِيْ جِهَةِ فَوْقُ لأَنَّ القَائِمَ وَالرَّاكِعَ أَقْرَبُ إِلَىٰ جِهَةِ فَوْقُ مِنَ السَّاجِدِ لَيْسَ إِلاَّ. وَلا يَحْمِلُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ هَـٰذِهِ النُّصُوْصَ عَلَىٰ الظَّوَاهِرِ فَيَجْعَلَ اللهَ تَعَالَىٰ مُلْتَصِقًا بِالأَرْضِ أَوْ دَاخِلاً فِيْهَا؟!!. حَاشَا وَكَلاَّ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ». فَهَلْ يَحْمِلُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ هَـٰذِهِ الآيَةَ عَلَىٰ ظَاهِرِهَا الَّذِيْ يُفِيْدُ التَّعَدُّدَ إِلَىٰ مَا لا نِهَايَةَ لَهُ. وَأَيْضًا يَتَوَجَّهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ مُصَلٍّ إِلَىٰ نَحْوِ الكَعْبَةِ فَيَقُوْلُ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيْ لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ». فَهَلْ يَكُوْنُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي جِهَةِ الكَعْبَةِ؟!!، لا. فَاللهُ تَعَالَىٰ مَجْدُهُ مُنَزَّهٌ عَنْ هَـٰذِهِ الظَّوَاهِرِ كَمَا هُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ جِهَةٍ وَعَنِ التَّحَيُّزِ فِيْ جِهَةٍ لأَنَّ الجِهَةَ حَادِثَةٌ وَكَذَٰلِكَ التَّحَيُّزُ

فِيْهَا حَادِثٌ. وَاللهُ تَعَالَىٰ كَانَ مَوْجُوْداً وَمُتَّصِفاً بِصِفَاتِهِ قَبْلَ كُلِّ جِهَةٍ وَمَكَانٍ وَهْوَ الآنَ كَمَا كَانَ بِهِ أَزَلاً.

وَأَخِيْرًا فَإِنْ وَرَد فِيْمَا أُضِيْفِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ كِتَابِهِ الكَرِيْمِ أَوْ سُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ لَفْظٌ أَوْ نِسْبَةٌ أَوْ إِضَافَةٌ تَحْتَمِلُ مَعَانِيَ تُلائِمُ لِلْخَالِقِ وَمَعَانِيَ لا تُلائِمُ إِلَّا لِلْخَلْقِ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «وَلِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهْوَ العَزِيْزُ الحَكِيْمُ ﴿٦٠﴾». وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الرُّوْمِ : «وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهْوَ العَزِيْزُ الحَكِيْمُ ﴿٢٧﴾». أَيْ للهِ الصِّفَةُ العَالِيَةُ الشَّانِ وَالكَمَالُ الْمُطْلَقُ وَالتَّنَزُّهُ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوْقِيْنَ.

وَاعْلَمْ أَيْضاً أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَذَّرَنَا أَن نَّضْرِبَ لَهُ الأَمْثَالَ وَنَصِفَهُ بِمَا لِلْمَخْلُوْقِ فَقَالَ تَعَالَىٰ شَانُهُ: «فَلا تَضْرِبُوْا للهِ الأَمْثَالَ». وَبَعْدَ أَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ هٰكَذَا فَإِنْ رَأَيْتَ أَحَداً يَهْرَبُ مِنْ تَنْزِيْهِ اللهِ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوْقِ، وَيَخْتَارُ وَيُحِبُّ أَنْ يَصِفَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

شَانُهُ بِصِفَاتِ الْمَخلُوْقِ كَالأَعْضَآءِ وَالجِسْمِيَّةِ وَالجِهَةِ وَالجُثَّةِ وَكِبَرِهَا وَالتَّحَيُّزِ فِيْ مَكَانٍ وَالإِنْتِقَالِ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ آخرَ فَاحْذَرْ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِن الْمُؤْمِنِيْنَ الْمُخْلِصِيْنَ بَلْ دَخِيْلٌ فِيْهُمْ عَمِيْلٌ لِلْيَهُوْدِ الَّذِيْنَ يُحَرِّفُوْنَ الكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ، وَيَنْقُلُ عَنْهُمْ تَشْبِيْهَ اللهِ بِخَلْقِهِ وَتَجْسِيْمَهُ حَيْثُ قَالَتْ اليَهُوْدُ قِدْمًا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِيْنًا: إِنَّ اللهَ اسْتَلْقَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ يَوْمَ السَّبْتِ وَاسْتَرَاحَ مِنْ تَعَبِ الخَلْقِ فَرَدَّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ إِذْ يَقُوْلُ فِيْ سُوْرَةِ ق: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِيْ سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوْبٍ ﴿٣٧﴾».

فَيُرَوِّجُ هٰذَا العَمِيْلُ اليَهُوْدِيَّةَ بِاسْمِ الإِسْلامِ يَصِفُ شَيْطَاناً تَخَيَّلَ فِيْ نَفْسِهِ وَيَاخُذُ أُجْرَةً عَلَىٰ ذٰلِكَ مِنَ اليَهُوْدِ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ وَعِلْمُهُ أَتَمُّ.

بَابُ الْمُسْتَحِيْلاتِ عَنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذِكْرُهُ

إِذَا عَلِمْتَ إِجْمَالاً فِيْمَا سَبَقَ جَمِيْعَ ما يَجِبُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَهْوَ كُلُّ كَمَالٍ يَلِيْقُ بِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ وَعَلِمْتَ تَفْصِيْلاً بَعْضَ مَا يَجِبُ لَهُ فَاعْلَمْ أَيْضًا أَنَّهُ يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِجْمَالاً كُلُّ مَا يَقْتَضِيْ لَهُ نَقْصاً. ثُمَّ مِمَّا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ تَفْصِيْلاً الحُدُوْثُ وَالفَنَآءُ وَالْمُمَاثَلَةُ لِلْحَوَادِثِ بِأَنْ يَكُوْنَ جِرْماً أَيْ يَاخُذَ ذَاتُهُ العَلِيُّ قَدْراً مِنَ الفَرَاغِ الْمَوْهُوْمِ أَوْ يَكُوْنَ عَرَضاً يَقُوْمُ بِالجِرْمِ أَوْ يَكُوْنَ اللّٰهُ جِهَةً لِجِرْمٍ مَا أَوْ يَكُوْنَ الجِرْمُ للهِ جِهَةً أَوْ يَتَقَيَّدَ بِمَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ أَوْ يَتَّصِفَ ذَاتُهُ العَلِيُّ بِالْمَعَانِي الحَادِثَةِ كَالعِلْمِ وَالقُدْرَةِ الحَادِثَيْنِ أَوْ يَتَّصِفَ بِكِبَرِ الجُثَّةِ وَهْوَ كَثْرَةُ الأَجْزَآءِ أَوْ يَتَّصِفَ بِصِغَرِ الجُثَّةِ وَهْوَ قِلَّةُ الأَجْزَآءِ أَوْ يَتَّصِفَ بِالأَغْرَاضِ فِي الأَفْعَالِ وَالأَحْكَامِ.

وَكَذَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَنْ لا يَكُوْنَ قَائِماً بِنَفْسِهِ بِأَنْ يَكُوْنَ صِفَةً تَقُوْمُ بِمَحَلٍّ أَوْ ذَاتاً حَادِثاً غَيْرَ مَوْجُوْدٍ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مُوْجِدٍ أَوْ ذَاتاً

حَادِثًا مَوْجُوْدًا يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ النَّقَآئِصَ. وَكَذَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ أَنْ لا يَكُوْنَ وَاحِداً فِيْ ذَاتِهِ أَوْ فِيْ صِفَاتِهِ أَوْ فِيْ أَفْعَالِهِ بِأَنْ يَكُوْنَ مُرَكَّباً فِيْ ذَاتِهِ أَوْ مُتَعَدِّدًا أَوْ تَتَعَدَّدَ صِفَاتُهُ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ أَوْ يُوْجَدَ صِفَاتٌ مِثْلُ صِفَاتِهِ أَوْ يَكُوْنَ فِي العَالِمَ مُؤَثِّرٌ غَيْرُهُ أَوْ مُشَارِكٌ لَهُ فِيْ فِعْلٍ مِا.

وَكَذَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ العَجْزُ عَنْ مُمْكِنٍ مَا، وَإِيْجَادُ شَيْءٍ مِنَ العَالِمَ أَوْ إِعْدَامُهُ كَائِناً كُلٌّ مِنْهُمَا مَعَ كَرَاهِيَّتِهِ تَعَالَىٰ لِإِيْجَادِهِ أَوْ لِإِعْدَامِهِ وَمَعْنَىٰ الكَرَاهِيَّةِ عَدَمُ إِرَادَتِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ لِوُجُوْدِهِ أَوْ لِعَدَمِهِ أَوْ مَعَ الذُّهُوْلِ أَوِ الغَفْلَةِ أَوْ بِالتَّعْلِيْلِ أَوْ بِالطَّبْعِ. وَكَذَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ الجَهْلُ بِمَعْلُوْمٍ مَا وَمَا فِيْ مَعْنَاهُ مِنَ الظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالوَهْمِ، وَكَذَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ تَعَالَىٰ الْمَوْتُ وَالصَّمَمُ وَالعَمَىٰ وَالبَكَمُ.

وَيُفْهَمُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ كَوْنُهُ حَادِثًا وَفَانِيًا وَمُمَاثِلاً وَمُفْتَقِرًا إِلَىٰ غَيْرِهِ وَغَيْرَ وَاحِدٍ وَعَاجِزاً وَمُكْرَهًا وَجَاهِلاً وَمَيِّتاً

وَأَصَمَّ وَأَعْمَىٰ وَأَبْكَمَ وَكَذَا يَسْتَحِيْلُ عَنْهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ أَضْدَادُ بَقِيَّةِ أَسْمَآئِهِ الحُسْنَىٰ وَأَضْدَادُ جَمِيْعِ كَمَالاتِهِ.

وَأَمَّا الجَآئِزُ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَفِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ أَوْ تَرْكُهُ كَإِيْجَادِ العَالَمِ العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ وَالأُوْلَىٰ وَالآخِرَةِ وَكَبِعْثَةِ الرُّسُلِ وَرُؤْيَةِ الخَلْقِ للهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ فِي الآخِرَةِ وَإِثَابَةِ الْمُطِيْعِ وَتَعْذِيْبِ العَاصِيْ وَالأَصْلَحِ لِلْخَلْقِ وَالتَّوْفِيْقِ وَالخِذْلانِ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ وَعِلْمُهُ أَكْمَلُ.

بَابُ البَرَاهِيْنِ النَّقْلِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ عَلَىٰ أُصُوْلِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي اللهِ

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوْبِ القِدَمِ للهِ تَعَالَىٰ فَلأَنَّهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ لَوْلَمْ يَكُنْ قَدِيْماً لَكَانَ حَادِثاً وَلَوْ كَانَ حَادِثاً لافْتَقَرَ إِلَىٰ مُحْدِثٍ وَلَو افْتَقَرَ إِلَىٰ مُحْدِثٍ

لَزِمَ الدَّوْرُ أَوِ التَّسَلْسُلُ لَكِنَّهُمَا مُحَالانِ فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِمَا وَهْوَ إِفْتِقَارُهُ إِلَىٰ مُحْدِثٍ مُحَالٌ وَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ كَوْنُهُ حَادِثًا مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ قِدَمُهُ تَعَالَىٰ.

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الحَدِيْدِ: «هُوَ الأَوَّلُ». أَيْ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ بِدَايَةٍ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ». رَوَاهُ البخاري وَالنَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ وَالبَيْهَقِيُّ وَالطَّحَاوِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ. وَدَلائِلُ ثُبُوْتِ هَٰذِهِ الصِّفَةِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَقْلِيَّةً كَانَتْ أَوْ نَقْلِيَّةً تَدُلُّ عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ ضِدِّ هَٰذِهِ الصِّفَةِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوْبِ البَقَاءِ للهِ تَعَالَىٰ فَلأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَوْلَمْ يَجِبْ لَهُ البَقَاءُ لأَمْكَنَ أَنْ يَلْحَقَهُ العَدَمُ وَلَوْ أَمْكَنَ أَنْ يَلْحَقَهُ العَدَمُ لانْتَفَىٰ عَنْهُ القِدَمُ لِكَوْنِ وُجُوْدِهِ حِيْنَئِذٍ جَآئِزاً لا وَاجِباً وَالجَآئِزُ لا يَكُوْنُ وُجُوْدُهُ إِلَّا حَادِثاً لَكِنْ انْتِفَآءُ القِدَمِ عَنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُحَالٌ لِمَا مَرَّ آنِفاً

مِنْ ثُبُوْتِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ وَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ لُحُوْقُ العَدَمِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ بَقَائِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ.

وَلِقَوْلِهِ جَلَّ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الرَّحْمَنِ: «وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالجَلالِ وَالإِكْرَامِ». أَيْ أَيْ يَبْقَىٰ رَبُّكَ تَعَالَىٰ. وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ القَصَصِ: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ». أَيْ إِلَّا اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ. وَلِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا فِيْ سُوْرَةِ مَرْيَمَ: «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ حِجْرِ: «وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيْ وَنُمِيْتُ وَنَحْنُ الوَارِثُوْنَ». وَالوَارِثُ هُوَ البَاقِيْ بَعْدَ مَوْتِ الْمُوَرِّثِ. وَلِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيْ سُوْرَةِ الحَدِيْدِ: «هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ». أَيْ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ ابْتِدَاءٍ وَالْمُتَأَخِّرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِغَيْرِ انْتِهَاءٍ. وَدَلائِلُ ثُبُوْتِ هَٰذِهِ الصِّفَةِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَقْلِيَّةً كَانَتْ أَوْ نَقْلِيَّةً تَدُلُّ عَلَىٰ لازِمِهَا وَهْوَ كَوْنُهُ تَعَالَىٰ قَدِيْماً وتَدُلُّ أَيْضاً عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ ضِدِّهِمَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَهُمَا حُدُوْثُ اللهِ تَعَالَىٰ وَكَوْنُهُ تَعَالَىٰ حَادِثاً.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوْبِ الْمُخَالَفَةِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لِلْحَوَادِثِ فَلأَنَّهُ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ لَوْلَمْ يَكُنْ مُخَالِفاً لِلْحَوَادِثِ لَكَانَ مُمَاثِلاً لَهَا، وَلَوْ مَاثَلَ شَيْئاً مِنْهَا لَكَانَ حَادِثاً مِثْلَهُ لَكِنْ حُدُوْثُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ مُحَالٌ لِمَا عَرَفْتَ قَبْلُ مِنْ وُجُوْبِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَبَقَآئِهِ فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ الْمُمَاثَلَةُ لِلْحَوَادِثِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ مُخَالَفَتُهُ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ لِلْحَوَادِثِ.

وَلِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا فِيْ سُوْرَةِ مَرْيَمَ: «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا». أَيْ مَثِيْلاً لا، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «فَلا تَضْرِبُوْا للهِ الأَمْثَالَ». وَلِقَوْلِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الشُّوْرىٰ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الإِخْلَاصِ: «وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُؤاً أَحَدٌ ﴿٤﴾». وَدَلائِلُ ثُبُوْتِ هَـٰذِهِ الصِّفَةِ للهِ تَعَالَىٰ عَقْلِيَّةً كَانَتْ أَوْ نَقْلِيَّةً تَدُلُّ عَلَىٰ لازِمِهَا وَهْوَ كَوْنُهُ تَعَالَىٰ بَاقِياً وتَدُلُّ أَيْضاً عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ ضِدِّهِمَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَهُمَا فَنَاءُ اللهِ تَعَالَىٰ وَكَوْنُهُ تَعَالَىٰ فَانِياً.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوْبِ القِيَامِ بِالنَّفْسِ للهِ تَعَالَىٰ وَهْوَ غِنَاهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ فَلأَنَّهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ لَوْلَمْ يَكُنْ قَائِماً بِنَفْسِهِ أَيْ غَنِيًّا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ لاحْتَاجَ إِمَّا إِلَىٰ مَحَلٍّ يَقُوْمُ بِهِ فَكَانَ صِفَةً وَلَوْ كَانَ صِفَةً لَمْ يَتَّصِفْ بِصِفَاتِ الْمَعَانِيْ وَلا غَيْرِهَا وَذٰلِكَ مُحَالٌ لأَنَّ مَوْلانَا اتَّصَفَ بِصِفَاتِ الْمَعَانِيْ وَغَيْرِهَا.

وَإِمَّا إِلَىٰ مَنْ يُخَصِّصُهُ بِالوُجُوْدِ ثُمَّ يَدْفَعُ عَنْهُ النَّقَائِصَ وَلَوِ احْتَاجَ إِلَىٰ مُخَصِّصٍ ثُمَّ دَافِعٍ لَكَانَ حَادِثاً لَكِنْ كَوْنُهُ حَادِثاً مُحَالٌ لِمَا عَرَفْتَ قَبْلُ مِنْ وُجُوْبِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَمَا أَدىٰ إِلَىٰ أَحَدِ هٰذَيْنِ الْمُحَالَيْنِ وَهْوَ افْتِقَارُهُ إِلَىٰ مَحَلٍّ يَقُوْمُ بِهِ أَوِ افْتِقَارُهُ إِلَىٰ مُخَصِّصٍ ثُمَّ دَافِعٍ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ قِيَامُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ بِنَفْسِهِ أَيْ غِنَاهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ.

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ مُحَمَّدٍ: «وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَآءُ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ جَلالُهُ فِيْ سُوْرَةِ حَدِيْدِ: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيْدُ ﴿٢٤﴾». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ فَاطِرٍ: «وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيْدُ ﴿١٥﴾». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ

قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ التَّغَابُنِ: «وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ ﴿٦﴾». وَلِقَوْلِهِ عَزَّ مِنْ غَنِيٍّ فِيْ سُوْرَةِ العَنْكَبُوْتِ: «إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِيْنَ ﴿٦﴾». وَلِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «وَكَانَ اللهُ غَنِياً حَمِيْداً ﴿١٣١﴾». وَدَلائِلُ ثُبُوْتِ هَـٰذِهِ الصِّفَةِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَقْلِيَّةً كَانَتْ أَوْ نَقْلِيَّةً تَدُلُّ عَلَىٰ لازِمِهَا وَهُوَ كُوْنُهُ تَعَالَىٰ مُخَالِفاً لِلْحَوَادِثِ وتَدُلُّ أَيْضاً عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ ضِدِّهِمَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَهُمَا مُمَاثَلَةُ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْحَوَادِثِ وَكَوْنُهُ تَعَالَىٰ مُمَاثِلاً لَهَا.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوْبِ الوَحْدَانِيَّةِ للهِ جَلَّ وعَلا فَلأَنَّهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ لَوْلَمْ يَكُنْ وَاحِداً بَلِ كَانَ مَعَهُ آخَرُ لَزِمَ أَنْ لا يُوْجَدَ شَيْئٌ مِنَ العَالَمِ لِلُزُوْمِ عَجْزِهِمَا حِيْنَئِذٍ وَهَـٰذَا العَجْزُ حَاصِلٌ اتَّفَقَا أَوِ اخْتَلَفَا. فَإِنْ قَدَّرْتَ اسْتِوَآئَهُمَا وَاتِّفَاقَهُمَا فِيْ إِيْجَادِ شَيْئٍ أَوْ فِيْ إِعْدَامِ شَيْئٍ وَقَدَّرْتَ فِعْلَهُمَا مَعاً أو مُرَتَّباً فَمُحَالٌ لِتَحْصِيْلِ الحَاصِلِ. وَإِنْ قَدَّرْتَ عَدَمَ فِعْلِ كُلٍّ مِنْهِمَا فَعَجْزُهُمَا ظَاهِرٌ. وَإِنْ قَدَّرْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا فَعَلَ وَأَنَّ الآخَرَ لَمْ

يَفْعَلْ فَالَّذِيْ لَمْ يَفعَلْ عَاجِزٌ وَكَذَا الفَاعِلُ لانْعِقَادِ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَهُمَا، وَيُسَمَّىٰ هَٰذَا البُرْهَانُ بُرْهَانَ التَّوَافُقِ.

وَإِنِ قَدَّرْتَ اسْتِوَآئَهُمَا وَاخْتِلافَهُمَا فِيْ إِيْجَادِ شَيْءٍ أَوْ تَرْكِهِ أَوْ فِيْ إِعْدَامِ شَيْءٍ أَوْ تَرْكِهِ وَقَدَّرْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا نَفَذَ مُرَادُهُ ظَهَرَ عَجْزُ الَّذِيْ لَمْ يَنْفُذْ مُرَادُهُ وَكَذَا نَافِذُ الْمُرَادِ لانْعِقَادِ اسْتِوَائِهِمَا، وَيُسَمَّىٰ هَٰذَا البُرْهَانُ بُرْهَانَ التَّمَانُعِ. وَأَمَّا إِذَا لَمْ تُقَدِّرْ اسْتِوَآئَهُمَا فَالقَادِرُ النَّافِذُ الْمُرَادِ هُوَ الإِلَٰهُ الفَعَّالُ لِمَا يُرِيْدُ وَحْدَهُ لا نَظِيْرَ وَلا شَرِيْكَ لَهُ فِي الأُلُوْهِيَّةِ أَيْ فِي اسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ.

وأَمَّا الدَّليلُ النَّقليُّ فلقولِهِ تعالىٰ في سورةِ البقرةِ: «وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيْمُ ﴿١٦٣﴾». ويقول تَعَالَىٰ في سورةِ النِّساءِ: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ وَلَدٌ». ولقولِهِ جَلَّ قَدْرُهُ في سورةِ المائدةِ: «وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهَوْا عَمَّا يَقُوْلُوْنَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ ﴿٧٣﴾». ولقولِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ النَّحلِ:

«وَقَالَ اللّٰهُ لا تَتَّخِذُوْآ إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُوْنِ ﴿٥١﴾». ولقولِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ الإسراءِ: «قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُوْلُوْنَ إِذاً لابْتَغَوا إِلَىٰ ذِي العَرْشِ سَبِيْلاً ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْراً ﴿٤٣﴾». ولقولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورةِ طه: «إِنَّمَا إِلَٰهُكُمْ اللّٰهُ الَّذِيْ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴿٩٨﴾». ولقولِهِ تَعَالَىٰ في سورةِ الأنبياءِ: «لَوْ كَانَ فَيْهِمَآ آلِهَةٌ إِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّٰهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُوْنَ ﴿٢٢﴾». ولقولِهِ تعالىٰ في سورةِ المؤمنون: «مَا اتَّخَذَ اللّٰهُ مِنْ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾». ولقولِهِ جَلَّ وَعَلا في سورةِ فُصِّلَت: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ». ولقولِهِ جَلَّ شَانُهُ في سورةِ الإخلاصِ: «قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ

﴿١﴾». وأمثالُ ذٰلك كثيرٌ في القرآنِ مشهورٌ معروفٌ. وَدَلائِلُ ثُبُوْتِ هَٰذِهِ الصِّفَةِ للهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ عَقْلِيَّةً كَانَتْ أَوْ نَقْلِيَّةً تَدُلُّ عَلَىٰ لازِمِهَا وَهْوَ كُوْنُهُ تَعَالَىٰ وَاحِداً وتَدُلُّ أَيْضاً عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ ضِدِّهِمَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَهُمَا عَدَمُ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَكَوْنُهُ تَعَالَىٰ غَيْرَ وَحِدٍ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوْبِ الحَيَاةِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ العَامَّيْنِ لِلْمُمْكِنَاتِ وَوُجُوْبِ العِلْمِ العَامِّ لِأَقْسَامِ حُكْمِ العَقْلِ للهِ تَعَالَىٰ فَلأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَوْلَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لاتَّصَفَ بِأَضْدَادِهَا وَهْيَ الْمَوْتُ والعَجْزُ وَإِيْجَادُ شَيْءٍ مِنَ العَالَمِ أَوْ إِعْدَامُهُ مَعَ الكَرَاهِيَّةِ وَمَا مَعَهَا وَالجَهْلُ وَمَا مَعَهُ، وَلَوِ اتَّصَفَ بِهَٰذِهِ الأَضْدَادِ لَمَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنَ العَالَمِ وَهَٰذَا وَاضِحٌ جِداًّ وَعَدَمُ وُجُوْدِ شَيْءٍ مِنَ العَالَمِ مُحَالٌ وَمَا أَدَىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ عَدَمُ اتِّصَافِهِ تَعَالَىٰ بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّةِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ اتِّصَافِهِ تَعَالَىٰ بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّةِ.

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ وفِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «اللهُ لآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّوْمُ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ طَه: «وَعَنَتِ الوُجُوْهُ لِلحَيِّ القَيُّوْمِ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الفُرْقَانَ: «وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الحَيِّ الَّذِيْ لا يَمُوْتُ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ غَافِرٍ: «هُوَ الحَيُّ لآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ وفِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ وفِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ وفِيْ سُوْرَةِ النُّوْرِ وَفِيْ سُوْرَةِ العَكَبُوْتِ وَفِيْ سُوْرَةِ فَاطِرٍ: «إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الإِسْرَاءِ: « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ قادِرٌ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَىٰ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً ﴿٩٩﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الكَهْفِ: «وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً ﴿٤٥﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الفُرْقَانِ: «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيْراً ﴿٢﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَحْزَابِ: «وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوْراً ﴿٣٨﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ يس: «أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَحْقَافِ: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ القِيَامَةِ: «أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾».

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «يُرِيْدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيْدُبِكُمُ العُسْرَ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «يُرِيْدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ». إِلَىٰ آخِرِ الآيَاتِ الثَّلاثِ. وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ المَائِدَةِ: «مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ المَائِدَةِ: «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْفَالِ: «وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ

الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْفَالِ: «وَاللهُ يُرِيْدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ التَّوْبَةِ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ التَّوْبَةِ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ هُوْدٍ: «إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ ﴿١٠٧﴾». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الإِسْرَاءِ: «وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الكَهْفِ: «فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَحْزَابِ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾». وَلِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ يَس: «إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ ﴿٨٢﴾». وَفِيْ سُوْرَةِ البُرُوْجِ: «فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ ﴿١٦﴾».

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ وَفِيْ سُوْرَةِ طَه وَفِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ وَفِيْ سُوْرَةِ الحَجِّ: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ

الأَنْعَامِ حِكَايَةً عَنْ خَلِيْلِ الرَّحْمَنِ وَنَبِيِّهِ: «وَسِعَ رَبِّيْ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَعْرَافِ حِكَايَةً عَنْ نَبِيِّ اللهِ شُعَيْبٍ: «وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ وَفِيْ سُوْرَةِ المَائِدَةِ وَفِيْ سُوْرَةِ لُقْمَانَ: «إِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ». وَلِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ هُوْدٍ: «فَاعْلَمُوآ أَنَّمَآ أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النَّحْلِ: «وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ ﴿١٩﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ المؤمِنُوْنَ: «عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ﴿٩٢﴾». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الفُرْقَانِ: «قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِيْ يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ لُقْمَانَ: «إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ». الآيَةَ. وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ فَاطِرٍ: «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلا فِيْ سُوْرَةِ غَافِرٍ: «يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُوْرُ ﴿١٩﴾». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الحَدِيْدِ: «يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيْهَا». وَلِقَوْلِهِ

جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِيْ سُوْرَةِ المجادِلَةِ: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُوْنُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلآ أَدْنَىٰ مِنْ ذَٰلِكَ وَلآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوْا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿٧﴾». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ التَّغَابُنِ: «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ وَاللهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿٤﴾».

وَدَلائِلُ ثُبُوْتِ هَٰذِهِ الصِّفَاتِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَقْلِيَّةً كَانَتْ أَوْ نَقْلِيَّةً تَدُلُّ عَلَىٰ لَوَازِمِهَا مِنْ كَوْنِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ قَادِراً وَمُرِيْدًا وَعَلِيْمًا وَحَيًّا، وَتَدُلُّ أَيْضاً عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ أَضْدَادِ جَمِيْعِ هَٰذِهِ الصِّفَاتِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوْبِ السَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالكَلامِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فَالكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ، وَمِنَ الكِتَابِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الزُّخْرُفِ: «أَمْ يَحْسِبُوْنَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ». وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِيْ سُوْرَةِ المجَادَلَةِ: «قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِيْ تُجَادِلُكَ فِيْ زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيْ إِلَىٰ اللهِ

وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ اللهَ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ ﴿١﴾». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ طَه: «إِنَّنِيْ مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٢٠﴾». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ جَلَّ شَانُهُ العَلَقِ: «أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «وَقَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُوْنَ كَلامَ اللهِ». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «وَكَلَّمَ اللهُ مُوْسَىٰ تَكْلِيْماً». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ المائِدَةِ: «وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَعْرَافِ: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيْ إِسْرَآئِيْلَ». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلا فِيْ سُوْرَةِ الأَعْرَافِ: «إِنِّيْ اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالاتِيْ وَبِكَلامِيْ». وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الفَتْحِ: «يُرِيْدُوْنَ أَنْ يُبَدِّلُوْا كَلامَ اللهِ».

ولأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَوْلَمْ يَتَّصِفْ بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّاتِ لاتَّصَفَ بِأَضْدَادِهَا لَكِنْ اتِّصَافُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِهَٰذِهِ الأَضْدَادِ مُحَالٌ لَكَوْنِهَا نَقَآئِصَ وَالنَّقَآئِصُ تَسْتَحِيْلُ عَنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَمَا أَدىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْمُحَالِ وَهْوَ عَدَمُ اتِّصَافِهِ تَعَالَىٰ بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّاتِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ اتِّصَافِهِ تَعَالَىٰ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالكَلامِ. وَدَلائِلُ ثُبُوْتِ هَٰذِهِ الصِّفَاتِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ نَقْلِيَّةً كَانَتْ أَوْ عَقْلِيَّةً تَدُلُّ عَلَىٰ لَوَازِمِهَا مِنْ كَوْنِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ سَمِيْعاً وَبَصِيْرًا وَمُتَكَلِّمًا، وَتَدُلُّ أَيْضاً عَلَىٰ اسْتِحَالَةِ أَضْدَادِ جَمِيْعِ هَٰذِهِ الصِّفَاتِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

وَأَمَّا بُرْهَانُ كَوْنِ فِعْلِ الْمُمْكِنَاتِ وَتَرْكِهَا جَآئِزاً للهِ فَلأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ شَيْئٌ مِنْهَا عَقْلاً أَوِ اسْتَحَالَ عَنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَقْلاً لانْقَلَبَ الْمُمْكِنُ وَهْوَ مَا يَقْبَلُ الثُّبُوْتَ وَعَدَمَهُ وَاجِباً وَهْوَ مَا لا يَقْبَلُ الإِنْتِفَآءَ أَوْ مُسْتَحِيْلاً وَهْوَ مَا لا يَقْبَلُ الثُّبُوْتَ لَكِنِ انْقِلابُ الْمُمْكِنِ وَاجِباً أَوْ مُسْتَحِيْلاً مُحَالٌ فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ كَوْنُ الْمُمْكِنِ وَاجِباً عَلَىٰ

اللهِ أَوْ مُسْتَحِيْلاً عَنْهُ مُحَالٌ فَثبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ جَوَازُ فِعْلِ الْمُمْكِنِ وَتَرْكِهِ للهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ.

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ هُوْدٍ وَفِيْ سُوْرَةِ البُرُوْجِ: «فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ أَمْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَآءُ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ: «لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُوْنَ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ وَالشَّمْسِ: «وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا» نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

بَابُ عَقِيْدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي رُسُلِ اللهِ عليهم السلام

وَأَمَّا الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَيَجِبُ لَهُمْ عُمُوْمَاً أَرْبَعُ كَمالاتٍ، وَقَدْ مَرَّ أَنَّ مَعْنَىٰ الوُجُوْبِ فِيْ هَٰذَا الفَنِّ عَدَمُ قَبُوْلِ الإِنْتِفَاءِ فَلا تَغْفَلْ. الأَوَّلُ: الصِّدْقُ فِيْ دَعْوَىٰ الرِّسَالَةِ وَفِيْمَا بَلَّغُوا عَنِ اللهِ مِنَ الأَحْكَامِ، وَأَمَّا الصِّدْقُ فِيْ أُمُوْرِ الدُّنْيَا فَدَاخِلٌ فِي الأَمَانَةِ. وَالثَّانِيْ: الأَمَانَةُ وَهِيَ العِصْمَةُ مِنْ جَمِيْعِ مُخَالَفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ وَيُعَبَّرُ عَنْهَا عَدَمُ خِيَانَتِهِمْ بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوْهٍ. وَالثَّالِثُ: تَبْلِيْغُ مَا أُمِرُوْا بِتَبْلِيْغِهِ لِلْخَلْقِ دُوْنَ مَا أُمِرُوا بِكِتْمَانِهِ أَوْ خُيِّرُوا. وَالرَّابِعُ: الفَطَانَةُ وَهْيَ تَيَقُّظُهُمْ وَسُرْعَةُ فَهْمِهِمْ لالزَامِ الخَصْمِ وَإِبْطَالِ دَعَاوِيْهِمِ البَاطِلَةِ.

وَيَسْتَحِيْلُ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الكَذِبُ والخِيَانَةُ وَكِتْمَانُ شَيْءٍ مِمَّا أُمِرُوْا بِتَبْلِيْغِهِ لِلْخَلْقِ وَالبَلادَةُ. وَيَجُوْزُ لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا هُوَ مِنَ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ الَّتِيْ لا تُؤَدِّيْ إِلَىٰ نَقْصٍ فِيْ مَرَاتِبِهِمِ العَلِيَّةِ كَمَرَضٍ غَيْرِ مُنَفِّرٍ طَبْعاً وَإِنْ كَانَ شَدِيْدًا أَلَمًا وَكَجُوْعٍ وَظَمَإٍ وَأَكْلٍ وَشُرْبٍ وَنِكَاحٍ . نَسْأَلُ اللهَ السَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَالِ رُسُلِهِ.

بَابُ دَلآئِلِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي رُسُلِ اللهِ عَلَيْهِمِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

وَأَمَّا دَلِيْلُ وُجُوْبِ صِدْقِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَلأَنَّهُمْ لَوْلَمْ يَصْدُقُوا لَلَزِمَ الكَذِبُ فِيْ خَبَرِهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ الحُكْمِيِّ الْمُنْزَلِ مَنْزِلَةَ الخَبَرِ الحَقِيْقِيِّ لِتَصْدِيْقِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَهُمْ بِالْمُعجِزَةِ النَّازِلَةِ مَنْزِلَةَ قَوْلِهِ «صَدَقَ عَبْدِيْ فِيْ كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّيْ». لأنَّ تَصْدِيْقَ الكَاذِبِ كَذِبٌ لَكِنِ الكَذِبُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ مُحَالٌ فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ عَدَمُ صِدْقِ الرُّسُلِ الْمُصَدَّقِيْنَ مِنْ قِبَلِ اللهِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ صِدْقُ الرُّسُلِ.

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ وَالنَّجْمِ: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوْحَىٰ ﴿١﴾». فَإِن لَّمْ يَنْطِقِ الرَّسُوْلُ الكَرِيْمُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا

بِوَحْيٍ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فَكَذَٰلِكَ بَقِيَّةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِذْ هُوَ ﷺ شَهِدَ لَهُمْ بِذَٰلِكَ.

وَأَمَّا دَلِيْلُ وُجُوْبِ أَمَانَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَتَمُّ التَّسْلِيْمِ فَلأَنَّهُمْ لَوْ خَانُوا بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوْهٍ لانْقَلَبَ الْمُحَرَّمُ أَوِ الْمَكْرُوهُ حَالَةَ كَوْنِهِ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوْهًا طَاعَةً فِيْ حَقِّهِمْ أَيْ مَامُوْراً بِهِ لنَا، لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ شَانُهُ أَمَرَنَا بِالإِقْتِدَآءِ بِهِمْ فِيْ أَقْوَالِهِمْ وَتَقْرِيْرَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ غَيْرِ الجَبَلِيَّةِ وَغَيْرِ مَا خُصَّ بِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَعْرَافِ: «وَاتَّبِعُوْهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ﴿١٥٨﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَعْرَافِ: «وَرَحْمَتِيْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَالَّذِيْنَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَحْزَابِ: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيْمَ حَنِيْفاً». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ

فِيْ سُوْرَةِ المُمْتَحِنَةِ: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيْ إِبْرَاهِيْمِ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ لُقْمَانَ: «وَاتَّبِعْ سَبِيْلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ». وَلا يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ بِالفَحْشَآءِ وَلا يُرَغِّبُهَا وَلا يَعِدُ بِهَا الثَّوَابَ لِمَنْ فَعَلَهَا لَكِنْ انْقِلابُ الْمُحَرَّمِ أَوِ الْمَكْرُوْهِ طَاعَةً مُحَالٌ، فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ خِيَانَتُهُمْ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ أَمَانَتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَلأَنَّ دِيْنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ اتِّبَاعُهُ ﷺ دُوْنَ تَوَقُّفٍ، وَمَا ذُكِرَ مِنَ الآيَاتِ وَعَادَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ دَلِيْلٌ قَطْعِيٌّ إِجْمَاعاً دَالٌّ عَلَىٰ عِصْمَتِهِ ﷺ مِنْ جَمِيْعِ الْمُخَالَفَاتِ وَكَذٰلك بَاقِي الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَاَمَّا دَلِيْلُ وُجُوْبِ تَبْلِيْغِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِلْخَلْقِ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيْغِهِ لَهُمْ فَلأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يُبَلِّغُوا ذٰلِكَ لَكَتَمُوْا وَلَوْ كَتَمُوا لانْقَلَبَ الكِتْمَانُ حَالَةَ كَوْنِهِ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوْهًا طَاعَةً فِيْ حَقِّهِمْ أَيْ مَأْمُوْراً بِهِ لَنَا، لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَمَرَنَا بِالإِقْتِدَآءِ بِهِمْ فِيْ أَقْوَالِهِمْ وَتَقْرِيْرَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ غَيْرِ الجَبَلِيَّةِ وَغَيْرِ مَا خُصَّ بِهِمْ لَكِنْ انْقِلابُ الكِتْمَانِ طَاعَةً مُحَالٌ لأَنَّهُ مُحَرَّمٌ

وَمُتَوَعَّدٌ عليه بِالنَّارِ وَفَاعِلُهُ مَلْعُوْنٌ، فَمَا أَدَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْمُحَالِ وَهْوَ كِتْمَانُ الرُّسُلِ لِلْحِقِّ الَّذِيْ أُمِرُوا بِتَبْلِيْغِهِ لِلْخَلْقِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ تَبْلِيْغِ الرُّسُلِ لِلْخَلْقِ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيْغِهِ لَهُمْ.

وَلِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ مَآ أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُوْنَ ﴿١٥٩﴾». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْتُمُوْنَ مَآ أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكِتَابِ وَيَشْتَرُوْنَ بِهِ ثَمَناً قَلِيْلاً أُولَئِكَ مَا يَاكُلُوْنَ فِيْ بُطُوْنِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ ﴿١٧٤﴾».

وَأَمَّا دَلِيْلُ وُجُوْبِ فَطَانَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَلأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَكُوْنُوا فُطَنَآءَ لَكَانُوْا بُلَدَآءَ وَلَوْ كَانُوا بُلَدَآءَ لَمَا غَلَبُوا الكُفَّارَ بِالحُجَّةِ لَكِنْ عَدَمُ غَلَبَتِهِمِ الكُفَّارَ بِالحُجَّةِ بَاطِلٌ لأَنَّهُ خِلافُ الوَاقِعِ فِيْ مُحَاجَاتِ الرُّسُلِ لِمَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمِ مِنَ الكُفَّارِ الْمُعَانِدِيْنَ لِلْحَقِّ، فَغَلَبَتُهُمْ لِلْكُفَّارِ

شَاهَدَهُ مَنْ عَاصَرَهُمْ وَحَضَرَهُمْ وَبَلَغَنَا بالتَّوَاتُرِ وَكِلاهُمَا قَطْعِيُّ اليَقِيْنِ وَلَيْسَ بَعْدَ العِيَانِ بَيَانٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ فَطَانَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِيْ حَآجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِيْ رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِّيَ الَّذِيْ يُحْيِيْ وَيُمِيْتُ قَالَ أَنَا أُحْيِيْ وَأُمِيْتُ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ فَإِنَّ اللهَ يَاتِيْ بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَاتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِيْ كَفَرَ». وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ هُوْدٍ: «قَالُوا يَا نُوْحُ قَد جَّادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ ﴿٣٢﴾». وَلِمَا فِيْ سُوْرَةِ الشُّعَرَاءِ مِنْ مُحَاجَاتِ نَبِيِّ اللهِ مُوْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْكَافِرِ العَاتِيْ فِرْعَوْنَ إِلَىٰ أَنِ انْقَطَعَ فِرْعَوْنُ عَنِ الْمُحَاجَاتِ وَتَوَعَّدَهُ بِالسِّجْنِ فَمَالَ مُوْسَىٰ إِلَىٰ حُجَّةٍ أَوْضَحَ مِمَّا ذَكَرَ قَبْلاً فَأَفْحَمَهُ.

وَأَمَّا دَلِيْلُ جَوَازِ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ عَلَىٰ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الَّتِيْ لا تُؤَدِّيْ إِلَىٰ نَقْصٍ فِيْ مَرَاتِبِهِمِ العَلِيَّةِ فَلأَنَّهَا لَوْ لَمْ تَجُزْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقَعْ بِهِمْ لَكِنْ

عَدَمُ وُقُوْعِهَا بِهِمْ بَاطِلٌ لأَنَّ وُقُوْعَهَا بِهِمْ مُشَاهَدٌ، شَاهَدَهُ مَنْ عَاصَرَهُمْ وَحَضَرَهُمْ وَبَلَغَنَا بالتَّوَاتُرِ وَكِلاهُمَا قَطْعِيُّ اليَقِيْنِ وَلَيْس بَعْدَ العِيَانِ بَيَانٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ جوَازِ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ عَلَىٰ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ: «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً يُوْحَىٰ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ». وَلَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ الفُرْقَانِ: «وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَاكُلُوْنَ الطَّعَامَ وَيَمْشُوْنَ فِي الأَسْوَاقِ». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ شَانُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ: «وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَاكُلُوْنَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِيْنَ ﴿٨﴾». وَلِقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِيْ سُوْرَةِ الأَنْبِيَاءِ: «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُوْنَ ﴿٣٤﴾».

وَتَقَعُ عَلَيْهِمْ هَٰذِهِ الأَعْرَاضُ إِمَّا لِتَعْظُمُ أُجُوْرُهُمْ كَالْمَرَضِ أَوْ لِيَعْلَمَ العِبَادُ أَحْكَامَ شَرِيْعَتِهِمْ كَالسَّهْوِ فِي الصَّلاةِ وَكَالصَّلاةِ فِي الخَوْفِ وَفِي الْمَرَضِ أَوْ لِيَتَنَبَّهَ العِبَادُ لِخِسَّةِ قَدْرِ الدُّنْيَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ وَلِعَدَمِ رِضَاهُ تَعَالَىٰ أَنْ تَكُوْنَ دَارَ جَزَآءٍ لأَنْبِيَآئِهِ وَأَوْلِيَآئِهِ كَقِلَّةِ مَا فِي اليَدِ أَوْ لِيَتَسَلَّي

العِبَادُ عَنِ حُطَامِ الدُّنْيَا وَزَخَارِيْفِهَا كَالجُوْعِ وَالظَّمَإِ بِاعْتِبَارِ أَحْوَالِهِمْ فِيْهَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَالِ رُسُلِهِ.

بَابُ بَيَانِ اجْتِمَاعِ أُصُوْلِ العَقَآئِدِ فِيْ كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ

وَمَعَانِي هَـٰذِهِ العَقَآئِدِ كُلِّهَا تَدْخُلُ فِيْ مَعْنَىٰ الكَلِمَتَيْنِ الْمُشَرَّفَتَيْنِ وَهُمَا «لآ إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ». وَبَيَانُ ذَٰلِكَ أَنَّ لِلْكَلِمَةِ الأُوْلَىٰ مَعْنَيَيْنِ مُطَابِقاً وَلازِماً، وَكِلاهُمَا إِثْبَاتُ الأُلُوْهِيَّةِ للهِ وَحْدَهُ مُطْلَقاً وَنَفْيُهَا عَنْ غَيْرِهِ مُطْلَقاً. الْمَعْنَىٰ الأَوَّلُ وَهْوَ الحَقِيْقِيُّ: لا مَعْبُوْدَ بِحَقٍّ مَوْجُوْدٌ وَلا مُمْكِنٌ إِلَّا اللهُ، وَيَلْزَمُ مِنْ هَـٰذَا الْمَعْنَىٰ أَنَّ الإِلَٰهَ الْمُتَفَرِّدَ بِاسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَمُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ. وَهَـٰذَا الْمَعْنَىٰ اللاَّزِمُ لِلأَوَّلِ هُوَ الْمَعْنَىٰ الثَّانِيْ وَهْوَ مُرَكَّبٌ دُوْنَ الأَوَّلِ كَمَا تَرَىٰ، أَيْ لا مُسْتَغْنِيَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَمُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ مَوْجُوْدٌ وَلا

مُمْكِنٌ إِلَّا اللهُ. فَالْمَعْنَىٰ الْمُثْبَتُ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي التَّفْسِيْرِ الثَّانِيْ وَهْوَ الْمَنْفِيُّ عَنْ غَيْرِهِ تَعَالَىٰ هُوَ اسْتِغْنَاؤُهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَافْتِقَارُ كُلِّ مَا عَدَاهُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ. أَمَّا اسْتِغْنَاؤُهُ تَعَالَىٰ ثَنَاؤُهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ فَهْوَ يَدُلُّ وَيُفْهَمُ مِنْهُ وُجُوْبُ قِدَمِهِ وَبَقَآئِهِ وَمُخَالَفَتِهِ لِلْحَوَادِثِ وَقِيَامِهِ بِنَفْسِهِ وَتَنَزُّهِهِ عَنِ النَّقَآئِصِ، وَيَدْخُلُ فِيْ التَّنَزُّهِ عَنِ النَّقَائِصِ وُجُوْبُ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَكَلامِهِ.

إِذْ لَوْ لَمْ تَجِبْ لَهُ تَعَالَىٰ هَـٰذِهِ الصِّفَاتُ لاحْتَاجَ إِلَىٰ الْمَحَلِّ أَوِ الْمُخَصِّصِ، لَكِنْ احْتِيَاجُهُ إِلَىٰ ذٰلِكَ مُحَالٌ فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ عَدَمُ وُجُوْبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ لهِ تَعَالَىٰ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ هَـٰذِهِ الصِّفَاتِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

وَيُفْهَمُ مِنْ وُجُوْبِ هَـٰذِهِ الصِّفَاتِ للهِ كَوْنُهُ تَعَالَىٰ جَدُّهُ مَوْجُوْداً وَقَدِيْماً وَبَاقِياً وَمُخَالِفاً لِلْخَلْقِ وَقَآئِماً بِنَفْسِهِ وَمُنَزَّهاً عَنِ النَّقَآئِصِ أي سَمِيْعاً وَبَصِيْراً وَمُتَكَلِّماً. وَيُؤْخَذُ مِنِ اسْتِغْنَآئِهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ تَنَزُّهُهُ عَنِ الأَغْرَاضِ

فِيْ أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ لأَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُنَزَّهاً عَنْهَا لَزِمَ افْتِقَارُهُ إِلَىٰ مَا يُحَصِّلُ بِهِ غَرَضَهُ، لَكِنِ افْتِقَارُهُ إِلَىٰ ذَٰلِكَ مُحَالٌ فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ عَدَمُ نَزُّهِهِ عَنِ الأَغْرَاضِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ تَنَزُّهُهُ عَنِ الأَغْرَاضِ.

وَيُؤْخَذُ مِنِ اسْتِغْنَآئِهِ تَعَالَىٰ شَانُهُ عَمَّا سِوَاهُ أَيْضاً أَنَّهْ تَعَالَىٰ مَجْدُهُ لا يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ وَلا تَرْكُهُ، إِذْ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلاً كَالإِثَابَةِ لَكَانَ تَعَالَىٰ مُفْتَقِراً إِلَىٰ ذَٰلِكَ الشَّيْءِ لِيَتَكَمَّلَ بِهِ، إِذْ لا يَجِبُ للهِ إِلَّا مَا هُوَ كَمَالٌ لَهُ، لَكِنْ افْتِقَارُهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ إِلَىٰ شَيْءٍ يَتَكَمَّلُ بِهِ مُحَالٌ فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ وُجُوْبُ شَيْءٍ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ عَلَيْهِ فِعْلاً أَوْ تَرْكاً مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ عَدَمُ وُجُوْبِ شَيْءٍ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ عَلَيْهِ جَلَّ وَعلا فِعْلاً أَوْ تَرْكاً.

وَأَمَّا افْتِقَارُ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ يَدُلُّ وَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ يَجِبُ لَهُ الحَيَاةُ وَالقُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ العَامَّانِ عَلَىٰ جَمِيْعِ الْمُمْكِنَاتِ

وَالعِلْمُ العَآمُّ عَلَىٰ جَمِيْعِ أَقْسَامِ حُكْمِ العَقْلِ إِذْ لَوْ لَمْ تَجِبْ لَهُ هَٰذِهِ الصِّفَاتُ لاتَّصَفَ بِالْمُقَابِلِ، وَلَوِ اتَّصَفَ بَالْمُقَابِلِ لَمَا افْتَقَرَ إِلَيْهِ شَيْئٌ تَعَالَىٰ، لَكِنْ عَدَمُ افْتِقَارِ شَيْءٍ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُحَالٌ فَمَا أَدَىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ اتِّصَافُهُ بِمُقَابِلِ هَٰذِهِ الصِّفَاتِ مُحَالٌ فَثبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ هَٰذِهِ الصَّفَاتِ لَهُ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ.

وَيَدُلُّ افْتِقَارُ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَيْضاً أَنَّهُ جَلَّ وَعَلا يَجِبُ لَهُ الوَحْدَانِيَّةُ، إِذْ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ ثَانٍ فِي الأُلُوْهِيَّةِ لَمَا افْتَقَرَ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ شَيْئٌ لِلُزُوْمِ عَجْزِهِمَا حِيْنَئِذٍ، وَقَدْ مَرَّ بَيَانُ ذَٰلِكَ فَلا تَغْفَلْ.

وَلَكِنْ عَدَمُ افْتِقَارِ شَيْءٍ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُحَالٌ فَمَا أَدَىٰ إِلَيْهِ وَهْوَ وُجُوْدُ إِلَٰهٍ ثَانٍ مَعَهُ تَعَالَىٰ مُحَالٌ فَثبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ وُجُوْبُ الوَحْدَانِيَّةِ لَهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ. وَيُفْهَمُ مِنْ وُجُوْبِ هَٰذِهِ الصِّفَاتِ للهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ كَوْنُهُ تَعَالَىٰ حَياًّ وَقَادِراً وَمُرِيْداً وَعَالِماً وَوَاحِداً، وَيُؤْخَذُ مِنِ افْتِقَارِ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَن لا تَاثِيْرَ لِشَيْءٍ مِنَ الكائِنَاتِ بِالطَّبْعِ فِيْ أَثَرٍ مَا

وَإِلَّا كَانَ ذٰلِكَ الأَثَرُ مُسْتَغْنِياً عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، لَكِنِ اسْتِغْنَآءُ هٰذَا الأَثَرِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُحَالٌ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِيْ يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ ذَاتاً كَانَ أَوْ عَرَضاً مِمَّا يُقَارِنُهُ سَبَبٌ عَادِيٌّ كَالشَّبَعِ وَالرِّيِّ أَوْلا كَخَلْقِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ فَمَا أَدَىٰ إِلَىٰ هٰذَا الْمُحَالِ وَهْوَ ثُبُوْتُ تَاثِيْرٍ لِشَيْءٍ مِنَ الكائِنَاتِ بِطَبْعِهِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ عَدَمُ تَاثِيْرِ شَيْءٍ مِنَ العَالَمِ بِطَبْعِهِ فِيْ أَثَرٍ مَا. أَمَّا مَا يَزْعَمُهُ كَثِيْرٌ مِنَ الجَهَلَةِ مِنْ تَاثِيْرِ الأَسْبَابِ العَادِيَّاتِ فِيْ مُسَبَّبَاتِهَا بِقُوَّةٍ جَعَلَهَا اللهُ فِيْهَا فَيُؤْخَذُ اسْتِحَالَتُهُ مِنِ اسْتِغْنَآئِهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، لأَنَّ هٰذَا الزَّعْمَ يُصَيِّرُ اللهَ حِيْنَئِذٍ مُفْتَقِراً فِيْ إِيْجَادِ بَعْضِ الأَفْعَالِ إِلَىٰ وَاسِطَةٍ.

وَلَكِنِ افْتِقَارُهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ ذٰلِكَ مُحَالٌ لِمَا عَرَفْتَ مِنْ وُجُوْبِ اسْتِغْنَآئِهِ تَعَالَىٰ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ فَمَا أَدَىٰ إِلَىٰ هٰذَا الْمُحَالِ وَهْوَ تَاثِيْرُ الأَسْبَابِ العَادِيَّاتِ فِيْ مُسَبَّبَاتِهَا بِقُوَّةٍ جَعَلَهَا اللهُ فِيْهَا مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ أَنْ لا تَأْثِيْرَ لِشَيْءٍ مِنَ الكَائِنَاتِ بِقُوَّةٍ جَعَلَهَا اللهُ فِيْهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ فِيْ مَسْئَلَةِ تَأْثِيْرِ الأَسْبَابِ العَادِيَّاتِ فِيْ مُسَبَّبَاتِهَا كَالسِّكِّيْنِ لِلْقَطْعِ وَالنَّارِ لِلإِحْرَاقِ وَالأَكْلِ لِلشَّبَعِ وَشُرْبِ الْمَآءِ البَارِدِ لِلرِّيِّ أَرْبَعَةَ مَذَاهِبَ. الأَوَّلُ: مَذْهَبُ الطَّبِيْعِيِّيْنَ القَائِلِيْنَ: إِنَّهَا تُؤَثِّرُ بِطَبْعِهَا وَذَاتِهَا قَبَّحَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَهْوَ كُفْرٌ بَوَّاحٌ.

وَالثَّانِيْ: مَذْهَبُ الجَهَلَةِ القَآئِلِيْنَ بِتَاثِيْرِ الأَسْبَابِ العَادِيَاتِ فِيْ مُسَبَّبَاتِهَا بِقُوَّةٍ جَعَلَهَا اللهُ فِيْهَا وَفِيْ كُفْرِهِمْ نَزَاعٌ، وَالرَّاجِحُ عَدَمُ تَكْفِيْرِهِمْ، كَالْمُعْتَزِلَةِ القَائِلِيْنَ: العَبْدُ يَخْلُقُ أَفْعَالَ نَفْسِهِ الإِخْتِيَارِيَّةَ بِقُدْرَةٍ جَعَلَهَا اللهُ فِيْهِ.

وَالثَّالِثُ: مَذْهَبُ القَائِلِيْنَ: إِنَّهُ لا تَاثِيْرَ لِشَيْءٍ مِنْهَا وَإِنَّمَا الْمُؤَثِّرُ هُوَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَلَكِنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُسَبَّبَاتِهَا تَلازُمٌ عقليٌّ لا تَخَلُّفُ عَنْهَا، وَهَٰذَا الْمَذْهَبُ لَيْسَ بِكُفْرٍ لَكِنِ اعَتِقَادُ التَّلازُمِ رُبَّمَا جَرَّهُ إِلَىٰ الكُفْرِ كَإِنْكَارِ بَعْثِ الأَجْسَادِ ومُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَآءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لأَنَّ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلَ

الرَّحْمَٰنِ ﷵ القِيَ فِي النَّارِ وَهِيَ تَتَلَهَّبُ وَلَمْ تُحْرِقْ مِنْ جَسَدِهِ شَيْئاً بَلْ أَحْرَقَتْ قُيُوْدَهُ فَقَطْ.

وَالرَّابِعُ: مَذْهَبُ أَهْلِ الحَقِّ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الأَشَاعِرَةِ وَالْمَاتُرِيْدِيَّةِ وَمُوَافِقِيْهِمْ وَمَنْ أَخَذُوا عَنْهُمُ الحَقَّ مِنْ سَلَفِهِمِ الصَّالِحِ القَائِلِيْنَ: إِنَّهُ لا تَاثِيْرَ لِشَيْءٍ مِنْهَا وَإِنَّمَا الْمُؤَثِّرُ هُوَ اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ وَلا تَلازُمَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مُسَبَّبَاتِهَا وَهَٰذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الحَقُّ الخَالِصُ الّذِيْ لا مَحِيْصَ عَنْهُ.

وَأَمَّا الكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ وَهِيَ مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ ﷺ فَيُؤْخَذُ مِنْهَا وُجُوْبُ صِدْقِهِ ﷺ وَأَمَانَتِهِ وَتَبْلِيْغِهِ مَا أُمِرَ بِتَبْلِيْغِهِ لِلْخَلْقِ لأَنَّ اللهَ العَلِيْمَ بِكُلِّ شَيْءٍ الخَبِيْرَ بِبَاطِنِ كُلِّ شَيْءٍ وَظَاهِرِهِ أَمِنَهُ ﷺ عَلَىٰ وَحْيِهِ السِّرِّ الكَامِلِ وَعَلَىٰ تَعْلِيْمِ هَٰذَا الوَحْيِ لِلخَلْقِ فَلَوْ لَمْ يَتَّصِفْ ﷺ بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ لَمَا أَمِنَهُ اللهُ الخَبِيْرُ بِبَاطِنِ كُلِّ شَيْءٍ وَظَوَاهِرِهِ عَلَىٰ وَحْيِهِ لَكِنْ عَدَمُ تَأْمِيْنِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ ﷺ عَلَىٰ الوَحْيِ خِلافُ الوَاقِعِ فَمَا أَدىٰ إِلَيْهِ

وَهْوَ عَدَمُ اتِّصَافِهِ ﷺ بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّةِ مُحَالٌ فَثَبَتَ الْمَطْلُوْبُ وَهْوَ اتِّصَافُهُ ﷺ بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّةِ.

وَيُؤْخَذُ مِنْهَا أَيْضاً وُجُوْبُ صِدْقِ جَمِيْعِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَمَانَتِهِمْ وَتَبْلِيْغِهِمْ مَا أُمِرُوْا بِتَبْلِيْغِهِ لِلْخَلْقِ، لأَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً رَسُوْلَ اللهِ ﷺ شَهِدَ بِذَٰلِكَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَلأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَكُوْنُوْا مُتَّصِفِيْنَ بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّةِ لَمْ يَكُوْنُوْا رُسُلاً أُمَنَآءَ لِمَوْلانَا العَالِمِ بِالخَفِيَّاتِ، وَلأَنَّهُمْ أُرْسِلُوْا لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ أَقْوَالَهُمْ وَأَفْعَالَهُمْ وَسُكُوْتَهُمْ، فَيَلْزَمُ أَن لا يَكُوْنَ فِيْ جَمِيْعِهَا مُخَالَفَةٌ لأَمْرِ مَوْلانَا تَعَالَىٰ الَّذِيْ اخْتَارَهُمْ عَلَىٰ جَمِيْعِ خَلْقِهِ وَأَمِنَهُمْ عَلَىٰ سِرِّ وَحْيِهِ.

وَيُؤْخَذُ مِنْهَا أَيْضاً وُجُوْبُ فَطَانَتِهِمْ لِيَهْتَدُوا إِلَىٰ إِزَالَةِ شُبَهِ مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ وَيُحَآجُّوا مَنْ عَانَدَهُمْ مِنَ الكَفَرَةِ. وَيُؤْخَذُ مِنْ وُجُوْبِ اتِّصَافِهِمْ

بِهَٰذِهِ الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّةِ اسْتِحَالَةُ الكَذِبِ وَالخِيَانَةِ وَالكِتْمَانِ وَالبَلادَةِ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَيُؤْخَذُ مِنْهَا أَيْ مِنَ الكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ أَيْضاً جَوَازُ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ غَيْرِ القَبِيْحَةِ عَلَيْهِمْ إِذْ هِيَ لا تَقْدَحُ فِيْ رِسَالَتِهِمْ وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ قَدْرُهُ بَلْ ذَاكَ مِمَّا يَزِيْدُ فِيْهَا. نَسْأَلُ اللهَ السَّلامَةَ وَالسَّتْرَ الجَمِيْلَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

تَتِمَّةٌ فِيْ بَقِيَّةِ النَّبَوِيَّاتِ

وَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ شَرْعًا أَنْ يَعْرِفَ تَفْصِيْلاً وَيُؤْمِنَ كَذَٰلِكَ رُسُلَ البَشَرِ الأُمَنَآءَ الفُطَنَآءَ الْمُبَلِّغِيْنَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ الْمُبَشِّرِيْنَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ آمَنَ بِهِمْ وَالْمُنْذِرِيْنَ بِالنَّارِ لِمَنْ كَذَّبَهُمْ الَّذِيْنَ ذَكَرَهُمُ اللهُ فِيْ القُرْآنِ وَهُمُ الخَمْسَةُ وَالعِشْرُوْنَ أَمَّا غَيْرُهُمْ فَيَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ وَيُؤْمِنَ

إِجْمَالاً أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَرْسَلَ إِلَىٰ الخَلْقِ رُسُلاً مِنَ البَشَرِ صَادِقِيْنَ أُمَنَآءَ فُطَنَآءَ مُبَلِّغِيْنَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ مُبَشِّرِيْنَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ آمَنَ بِهِمْ وَمُنْذِرِيْنَ بِالنَّارِ لِمَنْ كَذَّبَهُمْ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «رُسُلاً مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ». وَأَيَّدَهُمُ اللّٰهُ تَعَالَىٰ بِالْمُعْجِزَاتِ وَأَعْطَاهُمْ كُتُباً فِيْهَا مَصَالِحُ مَعَاشِ العِبَادِ وَمَعَادِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ البَقَرَةِ: «قُوْلُوآ ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ». إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ. وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ: «قُلْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ». إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ. وَالأَوْلَىٰ أَلَّا يُقَيَّدَ رُسُلُ اللهِ بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاءِ: «وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ» وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فِيْ سُوْرَةِ غَافِرٍ: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُم مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ».

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَيْضاً أَنْ يَعْلَمَ وَيُؤْمِنَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ خَلَقَ مَلائِكَةً هُمْ عِبَادُهُ الْمُكْرَمُوْنَ الْمُقَرَّبُوْنَ للهِ وَهُمْ أَجْسَامٌ نُوْرَانِيَّةٌ لا يَنَامُوْنَ وَلا يَاكُلُوْنَ

وَلا يَتَنَاكَحُوْنَ وَلا يَتَوَالَدُوْنَ وَلَيْسُوا ذُكُوْراً وَلا إِنَاثاً وَلا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللّٰهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ لا يَعْصُوْنَ اللّٰهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ.

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَيْضاً أَنْ يَعْلَمَ وَيُؤْمِنَ أَنَّ مَوْتَ الخَلْقِ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ السُّؤَالِ وَنَحْوِهِ فَنَعِيْمِ القَبْرِ لِمَنْ أَطَاعَ اللّٰهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَوْ عَذَابِهِ لِبَعْضِ مَنْ عَصَاهُ سُبْحَانَهُ ثُمَّ البَعْثِ فَالحَشْرِ فَهَوْلِ الْمَوْقِفِ فَالحِسَابِ وَالْمِيْزَانِ وَالصِّرَاطِ فَمُرُوْرِهِ فَالجَنَّةِ وَالنَّارِ كُلُّ ذٰلِكَ حَقٌّ.

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَيْضاً أَنْ يَعَلَمَ وَيُؤْمِنَ أَنَّ مَا كَانَ وَمَا يَكُوْنُ وَمَا لا يَكُوْنُ مِنَ الخَلْقِ خَيْراً كَانَ أَوْ شَراً حَسَنًا أَوْ قَبِيْحًا عُلْوِيًّا أَوْ سُفْلِيًّا ذَاتًا أَوْ عَرَضًا أَوَّلاً أَوْ آخِراً بِقَضَآءِ اللّٰهِ وَقَدَرِهِ. نَسْأَلُ اللّٰهَ السَّتْرَ وَالتَّوْفِيْقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَىٰ آمِيْن وَاللّٰهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَعْلَمُ بِحَقِيْقَةِ الأَمْرِ.

خَاتِمَةٌ فِيْمَا يَنْبَغِيْ لِلْعَاقِلِ

فَقَدْ بَانَ لَكَ تَضَمُّنُ مَعْنَىٰ كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ مَعَ قِلَّةِ حُرُوْفِهِمَا لِجَمِيْعِ مَا يَجِبُ عَلَىٰ الْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهُ وَاعْتِقَادُهُ مِنْ أُصُوْلِ الدِّيْنِ إِلَٰهِيَّاتٍ كَانَ أَوْ نَبَوِيَّاتٍ أَوْ سَمْعِيَّاتٍ. فَلَعَلَّ سَبَبَ جَعْلِ الشَّارِعِ إِيَّاهُمَا تَرْجَمَةً عَلَىٰ مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الإِيْمَانِ وَسَبَبَ عَدَمِ قَبُوْلِ الشَّارِعِ الإِيْمَانَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِهِمَا لاخْتِصَارِهِمَا مَعَ اشْتِمَالِ مَعْنَاهُمَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَاهُ.

فَلِذَا اخْتَارَ أَهْلُ الحَقِيْقَةِ الصُّوْفِيَّةُ الكَلِمَةَ الأُوْلَىٰ وَحْدَهَا أَوْ مَعَهَا الثَّانِيَةُ بِاللِّسَانِ وَالجَنَانِ مِنْ بَيْنِ الأَذْكَارِ الوَارِدَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُوْلِهِ ﷺ. فَيَنْبَغِيْ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَذْكُرَ اللهَ تَعَالَىٰ بِهَا كَثِيْراً مُسْتَحْضِرًا لِمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ العَقَائِدِ وَلَوْ إِجْمَالاً حَتَّىٰ تَمْتَزِجَ مَعَ مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، فَإِنَّهُ يُعْطَىٰ لَهُ بِهَا إِنْ شَآءَ اللهُ تَعَالَىٰ شَانُهُ مِنْ هِبَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَأَسْرَارِهِ الْمَكْنُوْنَاتِ الَّتِيْ لَمْ يَتَنَبَّهْ لَهَا أَكْثَرُ العِبَادِ مَا لا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ وَمِنَ اللهِ التَّوْفِيْقُ.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، ثُمَّ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِيْ أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً وَهُدًىٰ لِلْعَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْئَلُكَ بِأَنِّيْ أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لآ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِيْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُؤاً أَحَدٌ أَنْ تَجْعَلَ هَٰذَا العَمَلَ خَالِصاً لِوَجْهِكَ الكَرِيْمِ، وَأَنْ تُعِيْذَهُ مِنْ أَيْدِ الْمُلْحِدِيْنَ الْمُفْسِدِيْنَ وَالعَابِثِيْنَ وَأَنْ تُوَجِّهَ إِلَيْهِ رَغْبَةَ الرَّاغِبِيْنَ وَأَنْ تَنْفَعَ بِهِ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَنْ لا تَجْعَلَهُ وَبَالاً عَلَيْنَا وَأَنْ تَضَعَهُ لَنَا فِيْ مِيْزَانِ الحَسَنَاتِ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْنَا أَعْمَالُنَا وَأَنْ تَجْعَلَنَا وَأَحِبَّتَنَا نَاطِقِيْنَ عِنْدَ الْمَوْتِ بِكَلِمَةِ الشَّهَادَةِ عَالِمِيْنَ بِهَا وَأَنْ تُعِزَّنَا وَلا تُذِلَّنَا وَتُكْرِمَنَا وَلا تُهِيْنَنَا وَتُؤْتِيَنَا غِنَىٰ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالحَالِ وَلا تُحْرِمَنَا لِئَلَّا تَحْقِرَنَا الأَرَاذِلُ وَالجَهَلَةُ آمِيْن. أَنَّنَا فِي زَمَانٍ أَشَدَّ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِيْ أَخْبَرَ عَنْهُ الإِمَامُ عُمَرُ بْنُ مُظَفَّرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الفَقِيْهُ الشَّافِعِيُّ الْمَعْرُوْفُ بِابْنِ الوَرْدِيِّ حِيْنَ قَالَ:

«غَيْرَ أَنِّيْ فِيْ زَمَانٍ مَنْ يَكُنْ ...... فِيْهِ ذَا مَالٍ هُوَ الْمَوْلَىٰ الأَجَلْ».

«وَاجِبٌ عِنْدَ الوَرَىٰ إِكْرَامُهُ .... وَقَلِيْلُ الْمَالِ فِيْهِمْ يُسْتَقَلّْ».

وَنَسْأَلُكَ أَيْضاً أَنْ تُصَلِّيَ وَتُسَلِّمَ وَتُبَارِكَ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ بِفَضْلِكَ وَبِجَاهِهِمْ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُوْنَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغَافِلُوْنَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

فهرسُ كتابِ إرشادِ المؤمِنينَ وإفحامِ الملحدينَ بالأدلَّةِ العقليَّةِ والنَّقليَّةِ

الموضوعُ .... الرَّقمُ

مصنَّفاتُ المُؤَلِّفِ

- ❖ إِرْشَادُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَإِفْحَامُ الْملْحِدِيْنَ بِالدَّلَائِلِ القَطْعِيَّةِ النَّقْلِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ
- ❖ أَسَاسِيَّاتُ العَقِيْدَةِ الحَقِّ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ
- ❖ الإِنْصَافُ الحَقُّ بَيْنَ الإِسْلَامِ الْمَظْلُوْمِ والشيعةِ الرَّافِضَةِ الظَّالِمَةِ لَهُ
- ❖ تَطْهِيْرُ الجَنَانِ بِحُبِّ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحْبِهِ وَبِمَعْرِفَتِهِمَا
- ❖ مَسَالِكُ أَهْلِ الهُدَىٰ فِيْ تَنْزِيْهِ اللهِ عَمَّا يُنَافِي القِدَمَ
- ❖ دَفْعُ شُبَهِ التَّحْرِيْفِ عَنْ مَحَارِيْبِ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ بِأَلْسِنَةِ التَّسْلِيْمِ وَأَقْلامِ النَّصِيْحَةِ
- ❖ القَوْلُ السَّدِيْدُ فِيْ عَمَلِيَّاتِ الطَّبِيْبِ وَالْمُتَطَبِّبِ
- ❖ كَشْفُ الظَّلَامِ عَنْ حُكْمِ التَّصْوِيْرِ
- ❖ تَسْهِيْلُ دَلَائِلِ البَسْمَلَةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ نَقَلَتِهِمَا
- ❖ كِفَايَةُ طَالِبِ الحَقِّ الْمُبِيْنِ شَرْحُ عَقِيْدَةِ أَهِلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ
- ❖ فَتْحُ الخَبِيْرِ الحَكِيْمِ فِيْ تَبْصِيْرِ الحَقِّ الْمُبِيْنِ شَرْحُ عَقِيْدَةِ الشَّيْبَانِيَّةِ
- ❖ تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِيْنَ بِتَحْقِيْقِ مَسْئَلَةِ البَسْمَلَةِ

- إِتْحَافُ الأَحْبَابِ بَعْضَ سِيْرَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ودَلَائِلَ الِاحْتِفَالِ لِمَوْلِدِهِ
- جَلَآءُ الأَذْهَانِ بِمَنْظُوْمَاتِ الشَّيْخِ يُوْسُفَ بْنِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيْمَ الدِّرِّيِّ
- تَفْرِيْحُ الأَذْهَانِ بِالأَدْعِيَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَمَدْحِ سَيِّدِ الكَائِنَاتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَدْحِ بَعْضِ أَوْلِيَاءِ اللهِ العِظَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
- جَوَاهِرُ القُلُوْبِ فِيْ حَلِّ أَلْفَاظِ تَفْرِيْحِ الأَذْهَانِ
- تُحْفَةُ الْمُشْتَاقِ إِلَىٰ مَنَاقِبِ الحَبْرِ الخَبِيْرِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ سَمَتَرٍ
- الْمِنَحُ اللَّدُنِيَّةُ فِيْ مَنَاقِبِ الأُسْتَاذِ الجَلِيْلِ الْمُعَلِّمِ دَاوُدَ بْنِ الشَّيْخِ عُمَرَ
- اليَاقُوتُ الثَّمِينُ فِي تَجْدِيدِ دِينِ الإِسْلَامِ وَمَن ظَفِرَ بِهٰذا الْمَنْصَبِ النَّفِيسِ
- السِّلْسِلَةُ الذَّهَبِيَّةُ فِي الفِقْهِ
- نَظْمُ اللَّآلِي النَّفِيْسَةِ فِيْ فَرَائِدِ الشُّيُوْخِ